

المملكة الأردنية الهاشمية

حولية دائرة الآثار العامة

المجلد (٥٩)

عمّان

٢٠١٨

حولية دائرة الآثار العامة

تصدر عن دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨، عمان ١١١١٨ ـ المملكة الأردنية الهاشمية

الاشتراك السنوي

٢٠ ديناراً أردنياً (داخل المملكة الأردنية الهاشمية).

٣٠ دولاراً أمريكياً (خارج المملكة) بالإضافة إلى أجور البريد.

الآراء المطروحة في المقالات لا تمثل رأي دائرة الآثار العامة بالضرورة

تقبل المقالات حتى ٣١ أيار (مايو) من كل عام حسب التعليمات الواردة في هذا المجلد وتُرسل على العنوان التالي:

حولية دائرة الآثار العامة

دائرة الآثار العامة

ص.ب ٨٨

عمان ١١١١٨ ـ الأردن

فاكس: ٤٦١٥٨٤٨ ٦ ٩٦٢+

تعليمات نشر البحوث في حولية دائرة الآثار العامة

تعنى حولية دائرة الآثار العامة بالبحوث المختصة بالتراث الحضاري للأردن والمناطق المجاورة، بما في ذلك تقارير التنقيبات الأثرية ونتائجها.

ترسل البحوث في موعد أقصاه ٣١ أيار (مايو) من كل عام للنشر في مجلد العام نفسه إلى العنوان التالي: حولية دائرة الآثار العامة، ص.ب ٨٨ عمان ١١١١٨ الأردن، هاتف (٤٦٤٤٣٣٦).

ويمكن الاستفسار عن طريق الفاكس رقم (٤٦٥١٥٨٤٨ ٦ ٩٦٢+)، أو البريد الإلكتروني: (publication@doa.gov.jo).

لغة البحث

العربية أو الإنجليزية.

مسودات البحث

يجب ألا تتجاوز مسودة البحث ١٥,٠٠٠ كلمة (٣٠ صفحة تقريباً لتشمل قائمة المراجع، والمواد التوضيحية (الأشكال)، ويرجى تضمين اسم الباحث (أو الباحثين) وعنوانه في نهاية المسودة، ويكون ترتيبها كالآتي:

١- عنوان البحث واسم الباحث (الباحثين).
٢- النص الكامل للبحث.
٣- عنوان الباحث (الباحثين).
٤- قائمة المراجع.
٥- الهوامش إن وجدت.
٦- قائمة شروحات الأشكال.

تسليم النصوص

يُسلم النص على قرص حاسوب، إضافة إلى نسخة مطبوعة يكون تباعد الأسطر فيها مزدوجاً، والرجاء إضافة نسخة محفوظة على شكل Rich Text Format على قرص الحاسوب. كما يجب أن تكون المسودة بشكلها النهائي دون إجراء تغييرات كبيرة لاحقاً.

الصور والرسومات والمخططات

يجب أن ترفق مع النسخة الأصلية عند التقديم. ويجب الإشارة إلى جميع المواد التوضيحية سواء كانت صوراً أم رسومات أم مخططات، باستخدام مصطلح (الشكل) في متن النص، وترقيمها حسب تسلسل ورودها في النص (الشكل ١، الشكل ٢،... إلخ). ويجب ألّا تزيد أبعاد الشكل عن ٢٢×١٧ سم، حيث تكون حجومها ٢٥٠ pixels/in للصور الفوتوغرافية، و٦٠٠ pixels/in للرسومات والمخططات، وبالإمكان تقديم الشكل إلكترونياً بصيغة (jpg)، ولا تقبل الأشكال المحمّلة على برنامج Word.

الهوامش

يفضل الابتعاد عن الهوامش الطويلة قدر الإمكان، وتوضع المصادر والمراجع بين قوسين ضمن المتن، مثلاً: (الفلاحات ٢٠٠١: ٦٥-٦٧) أو (Brown 1989: 32-35) للمراجع الأجنبية.

قائمة المراجع:

يجب أن تكون ضمن جدول في نهاية البحث وحسب التسلسل الأبجدي، واتباع النموذج الآتي:

١- في حالة المقالات المنشورة في دوريات:

النوافلة، سامي

٢٠٠٠ تقرير عن حفرية الجي (جايا) في وادي موسى / ١٩٩١. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٤: ٤٢-٧١.

Zayadine. F. and Farés - Drappeau, S.

1998 Two North - Arabian inscriptions from the Temple of Lat at Wadi Iram. *ADAJ* 42: 255-258.

٢- في حالات المقالات المنشورة في مجلدات:

الدوري، عبد العزيز

٢٠٠١ فترات التاريخ العربي، نظرة شاملة. ص ٤٣-٥٩ في **أبحاث ودراسات في التاريخ العربي**، مهداة إلى ذكرى مصطفى الحياري ١٩٣٦-١٩٩٨. تحرير صالح الحمارنة. عمان: الجامعة الأردنية.

Gabel, H.G.K. and Bienert, H. -D

1997 Ba'ja: A LPPNB Regional Center Hidden in the Mountains North of Petra, Southern Jordan, Results from the 1997 Investigations. Pp. 221-262 in H.G.K. Gebel, Z. Kafafi and G. O. Rollefson (eds.), *The Prehistory of Jordan II. Perspectives from 1997*. Berlin: ex oriente.

٣- في حالة الكتب:

عباس، إحسان

١٩٩٠ **تاريخ بلاد الشام من ما قبل الإسلام حتى بداية العصر الأموي، ٦٠٠-٦٦١**. عمان: لجنة تاريخ بلاد الشام.

Peacock, D.P. S.

1988 *Pottery in the Roman World: An Ethnoarchaeological Approach*. London and New York: Longman.

الملكية الفكرية

من حق الباحث (الباحثين).

الفهرس

أعمال الصيانة والترميم لمسجد القسطل الأثري

أحمد لاش

Restoration and Rehabitation of Al-Qastal Mosque

Abstract:

Al-Qastal which consider as one of the most famous Umayyad ruin, is located 35 km south Amman. The most significant part in this site is the Umayyad mosque and its unique minaret, which consider as the oldest Islamic minaret in the Islamic world (still standing), the mosque was in very bad and dangerous situation. In this paper I'll speak about the restoration, rehabilitation, and protection works, particularly the reconstruction of the western wall, the protection of the courtyard and the restoration and rehabilitation of the internal part of the mosque. Also I'm going to follow the Mesopotamians influences which appeared in the Umayyad monuments in Transjordan in the eight century AD.

مقدمة

تعددت التفسيرات اللغوية لمعنى القسطل، فيورد ياقوت الحموي في معجم البلدان بأن القسطل في لغة العرب تعني الغبار الساطع، وفي لغة أهل الشام تعني الموقع الذي تفترق منه المياه، وفي لغة أهل المغرب تعني الشاه بلوط الذي يؤكل (وهي ما نطلق عليه "الكستناء". المؤلف)، ويضيف الحموي بأن القسطل موقع بين حمص ودمشق وقسطل موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة (الحموي ١٩٩٣)، كما يشير عبدالله الأندلسي في كتابه معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، بأن القسطل موضعان متقاربان من عمل البلقاء بدمشق (البكري ١٩٨٣). هذا وقد أوردت المصادر العربية معانٍ متعددة لكلمة القسطل بالإضافة إلى الإشارة إليه كاسم موقع، فقد وردت بمعنى غبار الحرب، فكان من المشهور من شِعر عنترة بن شداد قوله (واختر لنفسك منزلاً تعلو به .... أو مت كريماً تحت ظل القسطلِ)، وكذلك وردت كنوع من الشجر، كما يرد اسم القسطل بمعنى الأنبوب من الخزف أو غيره يجري به الماء. إن الغاية من ذكر هذه التعريفات هو تفنيد ما ذهب إليه البعض من احتمالية تحوير اسم القسطل من المصطلح اللاتيني (Castellum)، فالقسطل اسم عربي صريح وقد عُرفت الكثير من المناطق باسم القسطل، مثل القسطل بالقرب من حمص، والقسطل في فلسطين بالإضافة إلى قسطل البلقاء، كما أن قسطل البلقاء قد عُرفت بهذا الاسم قبل العصر الأموي، فقد ذكرتها المصادر التي تحدثت عن الخليفة الراشد أبو بكر الصديق وفتوحاته في بلاد الأردن عندما أشارت أنه قد بلغها جيش خالد بن سعيد (الطبري ١٩٦١: ٣)

منذ نهايات القرن التاسع عشر وخلال القرن العشرين وبدايات هذا القرن شهد موقع القسطل العديد من زيارات الباحثين والمستكشفين والذين

قاموا بالعديد من أعمال الدراسة والتوثيق لهذا المعلم الحضاري الإسلامي الهام، مثل الألمانيين برونو ودوماسفكي، والفرنسيان جسين وسيفنياك، ونلسون غلوك وكريزويل ولانكستر هاردنغ وهاينز جوبه وغيرهم الكثيرون، بالإضافة إلى بعض أعمال الصيانة والترميم والتنقيب، فقد قامت دائرة الآثار العامة بتنفيذ أعمال الصيانة لمسجد القسطل سنة ١٩٦٢، كما قامت البعثة الفرنسية برئاسة باتريشيا كارلبير وفريدريك مورين بالتعاون مع دائرة الآثار العامة بإجراء أعمال التنقيب والمسح الأثري لموقع القسطل والمنطقة المحيطة به خلال الفترة من ١٩٧٩- ١٩٨٥ وقد يكون هذا المشروع من أكثر المشاريع تعمقاً في الدراسة التحليلية للموقع من الناحية المعمارية والتي خلُصت إلى مالا يدع مجالاً للشك بأن قصر القسطل ومسجده هما بناء عربي إسلامي خالص، وتُرجّح نتائج عمل تلك البعثة، اعتماداً على مقارنة وحدة القياس المستخدمة في بناء الموقع وهي (الذراع) بأن القصر ومسجده قد بنيا في فترة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان والذي حكم خلال الفترة من ٦٨٥ إلى ٧٠٥ م (Carlier and Morin 1987)، كما قامت إرن أديسون بإجراء بعض التنقيبات الأثرية في الموقع سنة ١٩٩٩، وقد يكون من أهم أعمال الترميم التي تمت في الموقع هو ما قام به الدكتور غازي بيشة سنة ٢٠٠٤ من أعمال الترميم وإعادة البناء لمئذنة مسجد القسطل، والتي تُعتبر أيقونة معمارية مميّزة لهذا الموقع باعتبارها أقدم مئذنة مازالت قائمة على مستوى العالم.

أعمال الترميم و إعادة التأهيل للمسجد

الجدار الغربي

بالإضافة لأعمال الصينة والترميم اللازمة لهذا الجدار، فقد كان الدافع الأساسي للعمل به هو ما يشكله من خطورة كبيرة في حال انهياره وخاصة منطقة المدخل الرئيسي فيه والتي كانت معرضة للانهيار في أي لحظة وبسبب أي اهتزاز كما هو واضح في **(الشكلين ١، ٢)**، ولإجراء التقيّم الدقيق لحالة الجدار وتحديد طبيعة التدخل المناسبة كان لابد من تنظيف المنطقة الملاصقة للجدار من نباتات وأشجار نمت ما بين مداميكه كما هو واضح في **(الشكل ٣)**، وبعد إزالة تلك الأشجار والنباتات اتضحت الحالة الخطرة التي يعاني منها ذلك الجدار، فهذا الجدار الذي يمتد على طول (١٩,٢٥ م) وبارتفاع (٤ م) قد بني على أرض تنحدر نحو الشمال بحيث يتكون الجزء السفلي منه من جدار بُني من أربع صفوف من الحجارة بسماكة تصل إلى (١٢٥سم)، لتُشكل أساساً للجزء العلوي والذي تنحصر سماكته إلى (٦٥سم)، كما اتضح حجم الميلان في الجهة الجنوبية من هذا الجدار، حيث وصل حجم اندفاعه نحو الغرب (٣٧ سم) عن مستوى حجارة



١. مدخل الجدار الغربي من الداخل قبل الترميم.



٢. مدخل الجـدار الغربي من الخارج قبل الترميم.



٣. الجدار الغربي قبل إزالة الأشـجار والنباتات.

الأساس على طول (١٢,٦١م)، ومما ضاعف من خطورة وضع ذلك الجدار وخاصة في الجهة الجنوبية منه، أن حجارة الأساس في معظمها مفقودة، ربما نتيجةً لاقتلاعها في فترات سابقة بحيث أصبح ذلك الجزء من الجدار يستند على التراب فقط، أما أخطر ما في ذلك الجدار فهو أن المادة الرابطة بين صفّي الجدار مفقودة في معظم أجزائه، بحيث لم يعد يوجد ما يربط صفّي الجدار ببعضهما سوى ثقل الحجارة المستندة على بعضها بطريقة خطرة جداً شكّلت خطورة بالغة عند القيام بأي تدخّل في ذلك الجدار كما يتضح من **(الشكلين ٤، ٥)** ، وأمام ذلك الوضع البالغ الخطورة كان الحل الوحيد المُتاح هو فك الجزء الأكثر خطورة في الجدار و البالغ طوله (١٢,٦١م) و إعادة بناء الأساس المفقود بطول (١٤,١٩م) وذلك باستخدام نفس الحجارة وإعادة كل حجر لموقعه الأصلي واستبدال التالف منها وملئ الفراغات الناتجة



٤. الجدار الغربي بعد إزالة الأشـجار والنباتات.



٥. عـدم وجـود المـادة الرابطـة بين حجارة الجدار.

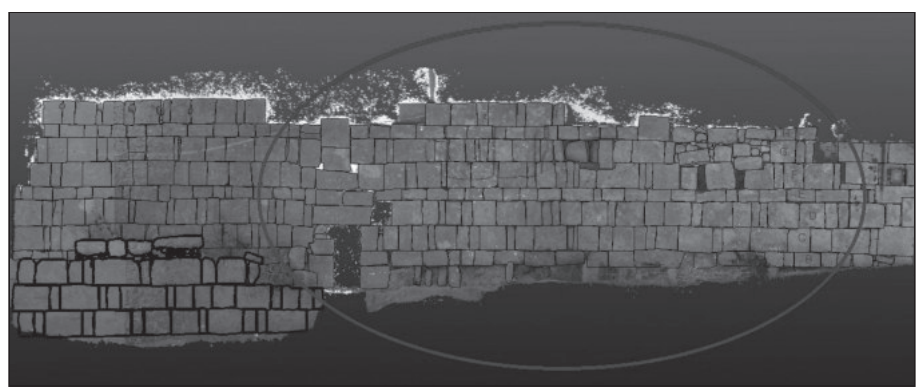
عن الحجارة المفقودة بحجارة جديدة من الحجارة المنتشرة في الموقع بحيث لم تتجاوز نسبة الحجارة المُستبدلة والمضافة على طول ذلك الجدار الخمسة بالمئة (٠,٠٥٪) من مجموع حجارة الجدار.

إن عملية إعادة البناء هذه قد وضعتنا أمام تحدٍ لمنهجية يجب اعتمادها قبل الشروع في عملية إعادة البناء، فلا يوجد خلاف حول وجوب إعادة كل حجر من حجارة الجدار إلى موضعه الأصلي وبالشكل الذي كان عليه، كما لا يوجد خلاف على عدم استخدام أي مواد حديثة خلال عملية الترميم والإقتصار على استخدام نفس المادة الرابطة التي كانت مستخدمة عند بناء الجدار في المرحلة الأموية، وهي الرمل والجير وحبيبات الحصى الصغيرة (رمل السيل)، إلا أن التحدي الأكبر يظهر عند العلم بأن هذا المسجد الذي بني في الفترة الأموية وتم استخدامه وأُعيد بناء أجزاء منه في الفترة الأيوبية والمملوكية والعثمانية وحتى في

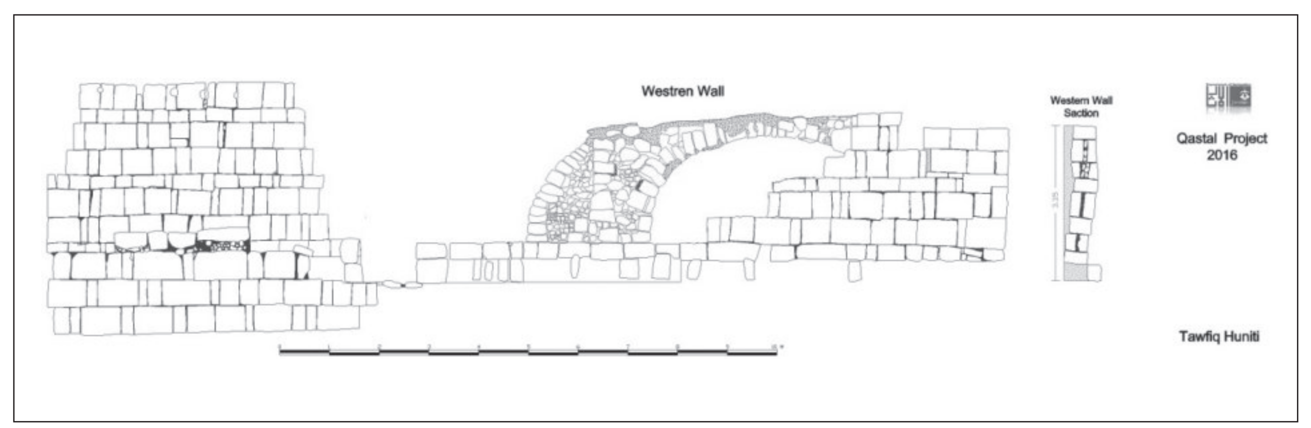
الفترة الحديثة في مطلع القرن العشرين، وتتضح تلك التعديلات الطارئة على الجدار الغربي في المدخل الواقع في منتصفه بعرض (٥٩سم) وارتفاع (١٣٩سم) وكذلك في بعض الأجزاء الجنوبية من ذلك الجدار والمتمثلة بفجوتين على شكل نافذة، فلا يوجد أدنى شك بأن ذلك المدخل لا يتزامن مع الجدار الأموي (الجدار الغربي) فمن الواضح أن هذا الجزء من الجدار قد تعرض للإنهيار في فترات سابقة ثم أعيد بناء المدخل بشكله الحالي بحيث لا يتشابه نهائياً مع شكل المداخل الشائعة في العمارة الأموية والمنتشرة في أروقة قصر القسطل، وعند بحثنا في أقدم ما هو متوفر من صور لهذا الجزء من الجدار قام الأب جان ميشيل من معهد الدراسات التوراتية التابعة للأباء الدومنيكان في القدس بتزويدنا مشكوراً بما لديه من صور قام بالتقاطها الآباء الدومنيكان جيسن وسفنياك لهذا الجزء من الجدار في تسعينيات القرن التاسع عشر (**الشكل ٦**)، والتي اتضح منها أنه لم يحدث أي تغير على شكل هذا المدخل منذ تلك الفترة على الأقل باستثناء حجر واحد يبدو أنه قد تم انتزاعه لاحقاً واستبداله بحجرين صغيرين غير منتظمين الشكل زادا من خطورة وضع المدخل، فخلُصنا إلى نتيجة أن المدخل بشكله الحالي يعود إلى فترة القرن التاسع عشر على أقل تقدير أي أنه قد أُعيد بناؤه بهذا الشكل خلال الفترة العثمانية أو المملوكية، وعليه فقد استقر قرارنا على إعادة بنائه بنفس الشكل وإعادة كل حجر إلى موضعه، إلا أنه نتيجة لفقدان حجارة مداميك الوجه الداخلي من الجدار فوق المدخل وضرورة ملئها بحجارة جديدة كان لابد من استبدال العتبة العلوية من المدخل بأخرى أكثر سمكاً بحيث تكون قادرة على حمل مداميك الوجه الداخلي والخارجي للجدار فوق المدخل. وعليه فقد تم اعتماد هذه المنهجية في إعادة البناء حيث تم فك ما طوله (١٢,٦١م) من الجدار (**الشكلين ٧، ٨**)



٦. الصورة التي التقطها الآباء الدومنيكان للجدار.



٧. مخطط ١.



٨. مخطط ٢.

وإعادة بناء ذلك الجزء من الجدار حجراً حجراً بشكل مستوٍ وإعادة كل حجر إلى موضعه الأصلي بنفس الوضعية التي كان عليها باستثناء ما هو تالف أو مفقود منها كما أشرنا سابقاً، وهذا ما تم بعد أن قمنا بتوثيق كافة التفاصيل في الجدار ورسمه وترقيم حجارته، وقد رافق تلك الأعمال إعادة دفن الخندق الإختباري الذي تم عمله خلال المشاريع السابقة ملاصقاً للجزء الشمالي من الجدار بجانب قاعدة المئذنة، كما تم إزالة كافة النباتات والأشجار التي كانت تخرج من أساسات ومداميك الجدار وحقن ما استعصى من جذور تلك الأشجار بالمواد الكيميائية المناسبة لقتلها وعدم نموها مجدداً. **(الشكل ٩)**

لقد شكّلت الدعامية الحجرية التي بنيت في الفترة الأيوبية المملوكية أمام الجدار الشمالي للمسجد نوعاً من الحماية لذلك الجدار، إلا أنها وبنفس الوقت وبسبب امتلائِها بكميات من التراب الذي تسربت له مياه الأمطار عبر مئات السنين، قد شكّلت مصدراً للرطوبة التي تراكمت في تلك التربة وانتقلت إلى حجارة الجدار الشمالي للمسجد وإلى الجزء الملاصق لتلك الدعامية من حجارة الجدار الغربي، ولهذا فقد قمنا عند بداية موسم الصيف ٢٠١٧ بتنظيف ما يتخلل حجارة تلك الدعامية من تراب ونباتات وخلق فتحات تسمح بدخول الهواء والحرارة إلى ما خلف حجارة تلك الدعامية بحيث تبقى متعرضة طوال فترة الصيف لأشعة الشمس المباشرة لتعمل على تبخير ما تخزن بين حجارتها من رطوبة، ومن ثم إعادة تكحيل تلك الفتحات قبل دخول الموسم المطري لعدم السماح لمياه الأمطار للتسرب مجدداً إلى ما خلف حجارة



٩. الجدار الغربي بعد الترميم.

تلك الدعامية، وذلك طبعاً بعد إغلاق كافة الفتحات الموجودة في سقف المسجد و حوافه والتي قد تشكل منفذاً تتسرب منها مياه الأمطار.

وبعد الإنتهاء من إعادة بناء الجزء الجنوبي من الجدار الغربي كان لابد من معالجة الجزء الشمالي منه وبالذات الوجه الداخلي حيث يتضح فقدان بعض الحجارة بالإضافة إلى فقدان مساحة كبيرة من حجارة الوجه الداخلي بعرض يتراوح من (١٠٠ إلى ١٦٢سم) وارتفاع (٢,٥٨م)،**(الشكل ١٠)** والتي كانت تشكل خطورة تهدد بانهيار جزء كبير من الجدار في حال تركها على هذه الحال، وعليه فقد تم إعادة بناء ما هو مفقود من حجارة في ذلك الجزء من الجدار كما هو واضح في **(الشكل ١١)**.

الساحة الخارجية للمسجد

بالإستناد إلى خطة العمل الموضوعة لأعمال الصيانة والترميم فقد تم إعادة دفن المجسات والحفر التي كانت تنتشر في ساحة المسجد وتنظيفها من الحجارة التي كانت منتشرة بها وترتيب تلك الحجارة في الساحة الملاصقة للمسجد من الجهة الشرقية، وكذلك تم تغطية فوهة البئر الموجود في ساحة المسجد بغطاء حجري يسمح بدخول مياه الأمطار إلى ذلك البئر، وبعد ذلك تم تغطية ساحة المسجد بطبقة من الحصى تسهيلاً لمسير مرتادي المسجد وتجنباً لتشكل الطين والوحل في فصل الشتاء في حال بقيت أرضية الساحة مغطاة بالتراب. **(الشكل ١٢)**.

ومن الأعمال الأخرى التي شملتها خطة الصيانة



١٠. الجدار الغربي من الداخل قبل الترميم.



١١. الجدار الغربي من الداخل بعد الترميم.



١٢. ساحة المسجد بعد فرشها بالصحى.

والترميم هو ترميم الجدار الشمالي للساحة وبالأخص الجزء الواقع بين المدخلين الشماليين والذي يظهر منه على مستوى سطح الأرض مدماكين من الحجارة ويمتدان بطول (٥,٧٢م) و بارتفاع يتراوح من (٨٤-٨٩سم)، حيث يظهر في هذا الجزء من الجدار اندفاع واضح نحو الجنوب وفقدان لخمسة حجارة من حجارة المدماك الثاني فتم العمل على تعديل حجارة المدماك الأول و تركيب خمسة حجارة مكان الحجارة المفقودة وموازنة باقي أجزاء الجدار **(الشكلين ١٣، ١٤)**. والجدير بالذكر أنه من المرجّح أن المدخلين الواقعين في الجهة الشمالية قد استحدثا في فترة لاحقة وعلى الأغلب خلال الفترة الأيوبية المملوكية نظراً لتساوي عتباتهما مع مستوى الأرضية الحالية للساحة وعثورنا على كسر من الفخار الأيوبي المملوكي بين مداميك ذلك الجدار خلال عملية التنظيف، في حين يظهر مدخل آخر بعرض (٩٣سم) يتوسط هذين المدخلين



١٣. جدار الساحة الشمالي قبل الترميم.



١٤. جدار الساحة الشمالي بعد الترميم.

إلا أنه على مستوى أكثر إنخفاضاً منهما بحيث لا تظهر عتبته التي تمتد أسفل مستوى أرضية الساحة الحالية إلا أن هذا المدخل قد تم إغلاقه بمداميك حجرية في فترة سابقة ربما تتزامن مع فترة إنشاء المدخلين الحاليين.

أما الجدار الشرقي للساحة والذي لا يظهر إلا وجهه على السطح والذي يبدو به اندفاع نحو الغرب مع عدم انتظام في قياسات عرضه والتي تراوحت بين (٦٦- ٧٦سم)، لاختلاف المسافة بين حجارة صفي الجدار بسبب ميلانه نحو الغرب، والذي قد يكون سببه مرور بعض السيارات أو الآليات من فوقه أو بسبب ضعف أساساته، والتي بنيت فوق طبقة من التراب، كما أشار الدكتور غازي بيشه عن نتائج المجسات التي أجراها عند الزاوية الشمالية الشرقية لذلك الجدار، ومن خلال الصور المتوفرة في قسم التسجيل في دائرة الآثار والتي تعود لحقبة السبعينيات من القرن الماضي يظهر أن ذلك الجدار كان أكثر ارتفاعاً ويتخلله مدخل عند زاويته الجنوبية ، وبعد تحديد مكان ذلك المدخل على أرض الواقع فقد قررنا رفع ذلك الجدار بمستوى مدماك واحد مع الإبقاء على مكان المدخل السابق بعرض (١٣٦سم)، علماً بأننا لم نعثر على ما يشير إلى وجود عتبة باب في ذلك الجزء من الجدار، مما يرجّح بأن ذلك المدخل قد تم بناؤه مقابلاً للمدخل الغربي في فترة متأخرة، ليبلغ طول ما تم إعادة بناؤه من ذلك الجدار (٥,٢٩م) بارتفاع مدماك واحد ارتفاعه (٥٣سم) وعرضه (٦٦سم)، بحيث يشكل هذا الجزء من الجدار مدخلاً واضحاً لساحة المسجد من الجهة الشرقية وليشكل ذلك الجدار مانعاً للسيارات والآليات للدخول إلى ساحة المسجد، دون إحداث تدخل ملحوظ في المظاهر المعمارية لهذا الجدار. **(الشكلين ١٥، ١٦).**

إعادة تأهيل المسجد من الداخل

أما الجزء المخصص للصلاة في المسجد فقد تم إزالة كل التمديدات الكهربائية السابقة فيه والتي كانت تشكل تشوهاً بصرياً داخل المسجد واستبدالها بتمديدات داخلية غير ظاهرة للعيان وإنارة المسجد من الداخل بمصابيح ذات طابع تراثي، كما تم تمديد الإنارة غير المرئية لتتوزع في زوايا الساحة الخارجية للمسجد لإنارتها ليلاً لمرتادي المسجد في صلاتي العشاء والفجر، كما قمنا أيضاً باستبدال الباب الحديدي للمسجد بباب آخر خشبي قام الفريق العامل بالمشروع بتفصيله يدوياً داخل الموقع بحيث يتماشى مع الطبيعة الأثرية لهذا المسجد، ولدى مخاطبة وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بتأمين السجاد وأجهزة الصوت اللازمة للمسجد لم تتردد بتأمين تلك المتطلبات وقد كان للمهندس عبدالله العبادي من وزارة الأوقاف الدور الأبرز بتأمين تلك المتطلبات، والتي تم تركيبها وفرشها داخل المسجد **(الأشكال ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠)** ، والجدير بالذكر أن



١٥. جدار الساحة الشرقي قبل الترميم.



١٦. جدار الساحة الشرقي بعد الترميم.



١٧. المسجد من الداخل قبل الترميم.



١٨. المسجد من الداخل بعد الترميم.



١٩. الباب الخشـبي الذي تـم تفصيله للمسجد.



٢٠. انارة الساحة الخارجية للمسجد.

وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية قامت منذ فترة بتعين إمام وخادم للمسجد ، وبهذا فقد تم إعادة مسجد القسطل الأثري للحياة مرةً أخرى بحيث يصدح به أذان "الله أكبر" من جديد وتُسمع في جنباته همسات المصلين وهم يرددون آيات الذكر الحكيم مستذكرين روح المكان وعبق التاريخ الذي شهد مجد المسلمين وحضارة دولتهم العربية.

مناقشة

من خلال دراسة أولية للمظاهر المعمارية في مسجد القسطل يتضح بما لا يدع لنا مجالاً للشك بأن الشكل الحالي وبالتحديد فيما يختص بالقسم المخصص للصلاة والساحة الخارجية يختلف اختلافاً كلياً عمّا كان عليه خلال المرحلة الأولى من البناء في الفترة الأموية، فكمية الحجارة المزخرفة، وحجم التاجيات وبقايا الأعمدة المتناثرة بجانب ساحة المسجد توحي بوجود عناصر معمارية غاية في الروعة والتي يبدو أنها قد تعرضت للتدمير والتحوير نتيجة للعوامل الطبيعية مثل: الزلازل، وعمليات إعادة الاستخدام المتكررة التي شهدها الموقع، فلم يبقَ شاهداً عليها سوى بقايا الأقواس التي كانت تزيّن الواجهة فوق باب المسجد وعلى جانبيه.

فمن الواضح أن الموقع قد شهد أوج نشاطه خلال الفترة الأموية ومن خلال شواهد القبور المؤرخة في مقبرة الموقع نستطيع الجزم باستمرار الإستيطان في الموقع خلال القرن الثالث الهجري أي بدايات الفترة العباسية، إلا أن أهم عمليات إعادة الاستخدام والبناء للمسجد قد حدثت خلال الفترة الأيوبية المملوكية، والتي تم خلالها بناء السقف النصف برميلي و بناء الدعامية الحجرية الملاصقة للجدار الشمالي للمسجد، فمن الواضح أن عملية إعادة البناء تلك قد تمت بشكل بسيط والذي من المرجّح أنه قد تم تنُفّذه من قبل مجموعة من السكان الذي استوطنوا المنطقة خلال تلك الفترة فقاموا باستخدام كل ما هو متوفر من حجارة دون مراعاة لشكل الحجر أو طبيعته أو ما يحتويه من زخارف، فيظهر للناظر الكثير من حجارة الأقواس التي تم استخدامها ضمن الحجارة العادية الأخرى خاصة في سقف المسجد من الخارج والداخل، ويرجّح بأن البدء بعملية إعادة البناء في تلك الفترة كان السقف الأصلي للمسجد منهاراً والجدارين الشرقي والغربي مائلين إلى الخارج بشكل ملحوظ، أما الجدار الشمالي فكان غير منتظم في استقامته مع ميلان باتجاه الشمال، بالإضافة إلى تهدم أجزاء من طرفه الغربي، فما تم عمله خلال تلك الفترة هو بناء سقف نصف برميلي يستند طرفيه الشمالي والجنوبي على الجدارين الأصليين من الداخل، بحيث يكون طرفي هذا السقف البرميلي ملاصقين للجدارين الشرقي والغربي دون أن يكونا مشرّكين بهما بحيث بقي هذان الجداران على وضعية الميلان نحو الخارج دون معالجة، ومما ضاعف في ميلانهما واندفاعهما عملية الضغط التي شكلها السقف نصف البرميلي على مداميكهما العلوية، ومما زاد الأمر سوءً بالنسبة للجدار الغربي هو تسرب مياه الأمطار إليه والتي كانت السبب الرئيسي في تآكل المادة الرابطة بين صفي الحجارة في ذلك الجدار والتسبب في نمو الأشجار والنباتات بين مداميكه، ومما زاد في ميلانه نحو الخارج هو فقدان معظم حجارة الأساس فيه، أما بالنسبة للجدار الشمالي فقد تم خلال تلك الفترة بناء دعامية حجرية ملاصقة له لتقوم بدعمه هو وقاعدة السقف نصف البرميلي المرتكزة عليه (**الشكل ٢١**)، كما تم إعادة بناء الجزء الغربي المتهدم منه بحجارة غير منتظمة الشكل منها ماهو حجارة أبواب كما يتضح من خلال (**الشكل ٢٢**)، حتى أن قاعدة القوس الخارج من الجدار الغربي باتجاه الشرق يبدو أنه قد تم حشوها بحجارة غير منتظمة مع الإبقاء على حجري قوس ظاهرين منها بحيث يتضح أن هذين الحجرين أيضاً غير متصلين ولم يكونا هما نفس حجري القوس السابقين وذلك لعدم تجانسهما (**الشكل ٢٣**).

من أهم ما تم الكشف عليه خلال عملية دراسة المظاهر المعمارية الداخلية للمسجد، هو حجر يقع إلى الشرق من المحراب أعيد استخدامه في الفترة الأيوبية المملوكية عند بنائهم للسقف نصف البرميلي ويبدو كما هو حال كثير من الحجارة المستخدمة في عملية إعادة البناء في تلك الفترة لم يلحظ من قاموا بإعادة استخدامه ما على هذا الحجر من خطوط وأشكال، وعند تدقيق النظر في ذلك الحجر يتضح بشكل مؤكد أنه عبارة عن ساعة شمسية أو ما كان يُطلق عليه اسم (المزولة)، والتي من المرجّح بأنها كانت مستخدمة



٢١. السقف نصف البرميلي والدعامية.



٢٢. استخدام حجارة عشوائية في بناء جزء من الجدار الشمالي والسقف البرميلي.

في أحد الأجزاء الخارجية للمسجد إبان الفترة الأموية، كونها تحتاج لمنطقة يتوفر بها سطوع لأشعة الشمس على مدى ساعات النهار، وذلك للتعرف على مواقيت الصلاة من خلالها، وهذه المزولة قد عُملت على حجر طوله (٤٦,٥سم) و ارتفاعه (٢٩سم) أما سمكه فهو غير واضح كون الحجر مثبت في الجدار، وقد نُحتت على وجه ذلك الحجر نصف دائرة يبلغ نصف قطرها (٢٢,٥سم)، وهي مقسّمة إلى اثني عشر مثلثاً تلتقي رؤوسها عند النقطة التي كان مثبتاً بها القضيب المعدني الذي يمتد ظله عليها لتحديد الساعة، ومازالت بقايا ذلك القضيب موجودة في تلك النقطة، أما قاعدة المثلثات والتي تشير كل واحدة منها لساعة من ساعات النهار فكل قاعدة من قواعد تلك المثلثات مقسومة أيضاً إلى نصفين بحيث تقوم هذه المزولة من خلال ظل القضيب المعدني المنعكس عليها بإعطاء التوقيت لأقرب نصف ساعة من ساعات النهار، هذا



٢٣. حجري القوس غير المتجانسين.

وقد تم تنظيف المنطقة الملاصقة لجوانب ذلك الحجر وتعبئتها بالمونة المناسبة للحفاظ عليها. (**الشكل ٢٤**).

إن من أكثر الأمور صعوبة للتعامل معها داخل المسجد هو إزالة كميات الإسمنت الكبيرة التي استخدمت بين حجارة السقف والجدران الداخلية خلال عمليات الترميم في ستينيات القرن الماضي والتي اشتملت أيضاً على إعادة بناء الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد من الخارج، فبالرغم مما شكله استخدام مادة الإسمنت من تماسك لأجزاء البناء إلا أن عملية إزالته حالياً تشكل عملاً بالغ الصعوبة و يتطلب وقتاً وجهداً كبيراً لا يقل عن سنة من العمل المتواصل، ولذلك فقد اكتفينا خلال هذا الموسم بإزالة ما هو موجود

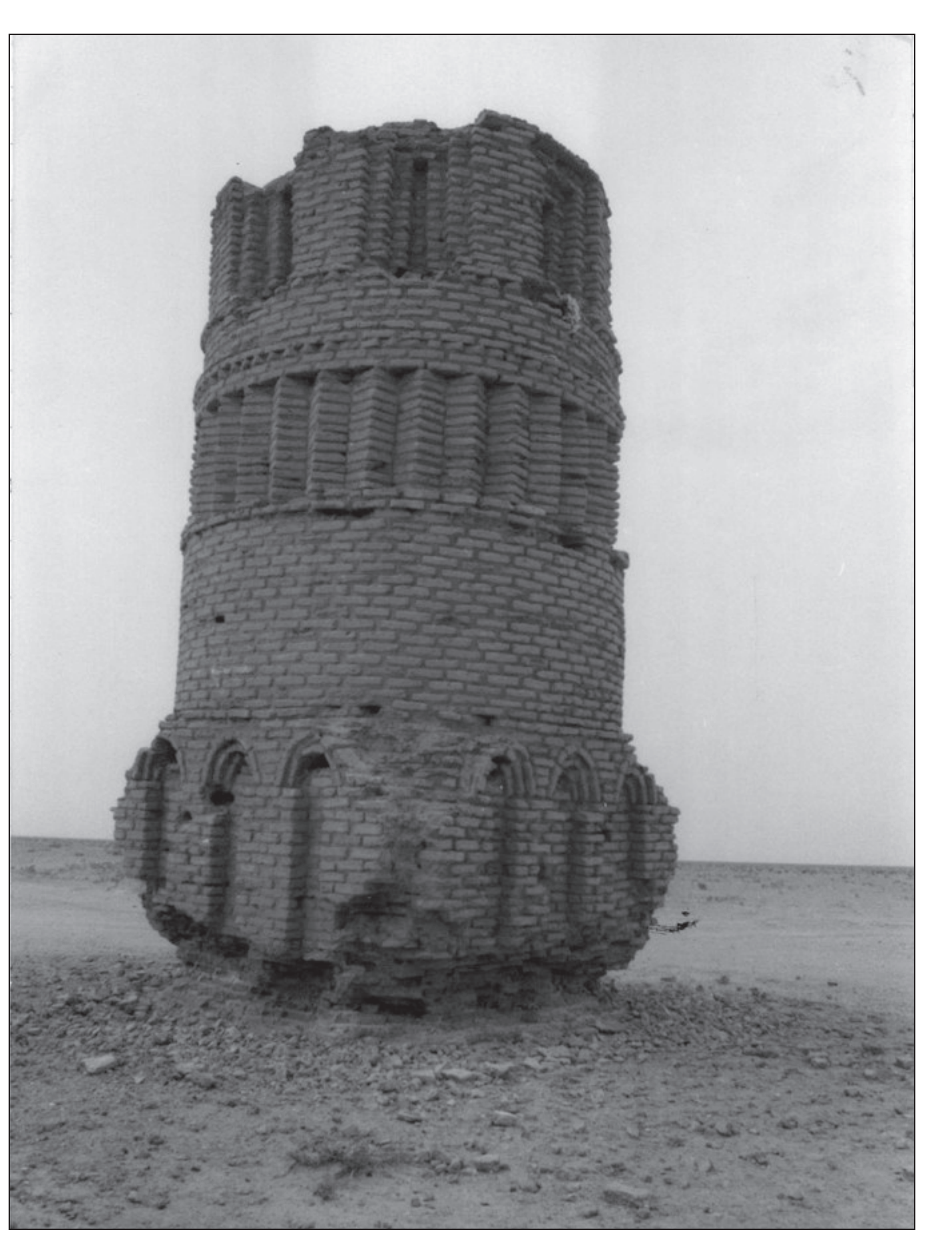


٢٤. المزولة.

من إسمنت بين المداميك المحيطة بمدخل المسجد من الداخل والخارج واستبدال مادة الإسمنت بالمونة المناسبة والمكونة من الجير ورمل السلكا (رمل صويلح) و حبيبات حصى السيل.

لا يمكن الحديث عن موقع القسطل ومسجده دون الإشارة إلى مئذنة ذلك المسجد، تلك المئذنة الحجرية التي تعتبر أقدم مئذنة مازالت قائمة على مستوى العالم، والواقعة في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة المسجد ذات الشكل الأسطواني المبنية على قاعدة مربعة، والتي يرجع الفضل في ترميمها والحفاظ عليها للدكتور غازي بيشة من خلال مشروع الترميم الذي قام بتنفيذه في العام ٢٠٠٤، (Bisheh 2007)

فمن المعروف أن بناء المآذن لم يكن شائعاً في الفترة الإسلامية المبكرة أي في عهد الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، أو في عهد الخلفاء الراشدين من بعده، بحيث كان يُكتفى برفع الأذان من على سطح المسجد أو من فوق أسوار المدينة، فلم يكن هنالك جزء مخصص في المسجد يُرفع الأذان منه، وإن كان معظم الباحثين قد ذهبوا إلى أن بدايات بناء المآذن كانت في بلاد العراق وبالذات في مدن البصرة والكوفة قبل انتقالها إلى بلاد الشام، وهذا موضوع لن نخوض به فقد لخّصه الدكتور غازي بيشه في مقاله عن مشروع ترميم مِئذنة القسطل بشكل وافٍ وشامل ويمكن الرجوع إلى ما كتبه الدكتور بيشه في هذا الخصوص لمزيد من الفائدة، لكن السؤال الذي نطرحه هو كيفية انتقال بناء المئذنة من بلاد الرافدين خلال الفترة الأموية إلى منطقة القسطل؟ ما يهمنا في هذا الخصوص هو وجود مثال مشابه لمئذنة القسطل في بلاد الرافدين وهي منارة (مجدة) وفي لفظ آخر منارة (موجدة) وهي التي تبعد ٢٢كم إلى الشرق من قصر الأخيضر في كربلاء، تلك المنار المبنية من الطوب المشوي بجسم دائري على قاعدة مربعة (**الشكل ٢٥**) والتي خلُص الباحثون على تأريخها إلى الفترة الساسانية، إذن فهذا الطراز المعماري كان معروفاً في بلاد العراق وإن كانت الغاية الأولية من تلك المنارة هو استخدامها لهداية المسافرين عبر الطرق التجارية، ومن ثم استخدام هذا الطراز كمآذن لرفع الأذان في بدايات القرن الثاني الهجري، ولتتبع انتقال الطرز المعمارية من بلاد العراق إلى منطقة البلقاء في الأردن لابد لنا من العودة لواحد من أهم الأحداث التاريخية في الفترة الأموية وهي التي أعقبت وفاة الخليفة الوليد بن عبدالملك واستلام أخوه سليمان بن عبد الملك مقاليد الحكم سنة (٩٦ للهجرة/ ٧١٥ م)، فمن المعروف ما كان من العداء بين سليمان بن عبدالملك ويزيد بن المهلب من جهة و الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق القوي وأتباعه من القبائل اليمانية من جهة أخرى، إلا أن مشيئة الله قد قضت بأن يموت الحجاج قبل أن يتولى سليمان بن عبد الملك زمام الأمور، لينتقل سخطه على الحجاج إلى أتباع الحجاج وآل بيته ولتكون الفرصة مواتية ليزيد بن المهلب الوالي الجديد والمقرّب من سليمان بن عبد الملك للإنتقام منهم، والذي يبدو من تتبع الأخبار التاريخية بأن نسبة من القبائل اليمانية التي كانت تشكل عصب الحكم للحجاج و ثُلة من أهل بيته قد انتقلت إلى منطقة البلقاء، فتذكر المصادر التاريخية بأن يزيد بن المهلب قد بعث إلى البلقاء من عمل دمشق وفيها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله ونقلهم وما معهم إليه (عطوان ١٩٨١)، ويبدو أن حالة الضنك التي عاناها آل الحجاج وأنصاره قد استمرت خلال عهد سليمان بن عبدالملك إلى أن آلت مقاليد الحكم إلى الخليفة يزيد بن عبدالملك (سنة ١٠١ هـ/ ٧٢٠ م)، وفي تلك المرحلة كان الزمان قد دار دورته، فيزيد بن المهلب ألدّ أعداء آل الحجاج بن يوسف أضحى قتيلاً بيد يزيد بن عبدالملك وليعود الزمان ليبتسم لآل الحجاج أصهار الخليفة، فزوجة الخليفة هي زينب بنت محمد بن يوسف الثقفي، أي أنها ابنة أخو الحجاج بن يوسف، وهي الزوجة المحظية لدى الخليفة وأم الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الذي ارتبط اسمه بالبادية الأردنية ويُنسب إليه مبانٍ عديدة مثل قصير عمرة وقصر طوبة والمشتى (لاش ٢٠١٢) بالإضافة إلى ما ذكرته المصادر التاريخية من إقامته في منطقة زيزياء حيث كان يُطعم هناك من صدر من الحجاج ثلاثة أيام (الطبري ٧: ١٩٦١). فيتضح لنا من خلال المصادر التاريخية بأن آل الحجاج و أعوانهم قد حظيو بالقرب من بيت الخلافة في عهد يزيد بن عبدالملك الذي ارتبط اسمه بموقعي الموقر والقسطل وهما اللذان يقول فيهما كثيّر عزة (سقى الله حياً بالموقر دارهم ..... إلى قسطل البلقاء ذات المحارب)، وكذلك كان الأمر في



٢٥. منارة مجدة قرب قصر الأخيضر في كربلاء.

عهد ابنه الوليد بن يزيد، فيذكر الدكتور حسين عطوان ما أورده المؤرخون مثل خليفة بن خيّاط في تاريخه وعلي بن حزم لأندلسي في كتابه جمهرة أنساب العرب، أن أخوة أم الوليد بن يزيد كانوا من كبار الموظفين في قصره وفي الأمصار الأخرى وكان أولاد عمّها الحجاج بن يوسف وحفدته يلون وظائف متعددة في دمشق وغيرها.(عطوان ١٩٨١). والذي قد نذهب إليه بأن المباني الأثرية مثل قصر الطوبة وقصر المشتّى ومئذنة مسجد القسطل قد شهدت تأثراً واضحاً بنمط العمارة الشائع في بلاد العراق سواءً من حيث طريقة وأسلوب البناء أو من حيث الزخارف والأشكال الحيوانية والأسطورية التي زيّنت بعض واجهات وجدران تلك المباني، وأن مردّ هذا التأثير هو تلك الحركة السكانية التي شهدتها المنطقة من بلاد العراق باتجاه منطقة البلقاء نتيجة للأحداث السياسية التي أعقبت تولي سليمان بن عبدالملك لزمام الحكم سنة (٩٦ للهجرة/٧١٥ م). والحظوة التي نالتها تلك المجموعة السكانية خلال عهد يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد بن يزيد، ليظهر تأثير انتقال الطرز المعمارية التي كانت شائعة في بلاد العراق وفارس إلى المنطقة التي انتقلوا إليها في أرض البلقاء، وعليه فإننا نرجح أن تاريخ بناء هذا المسجد ومئذنته يعود إلى فترة الخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١- ١٠٥ هجري/ ٧٢٠-٧٢٤م). وفي ظل عدم وجود نص



٢٦. قبلة مسجد ابو بكر الصديق.

صريح مُكتشف حتى الآن يبقى هذا التأريخ ضمن باب الفرضيات التي تحتمل القبول والرد.

قبل الإنتهاء من هذا البحث لا بد لي من الإشارة إلى نقطة كان قد أوردها الباحثان الفرنسيان باتريشيا كارليير وفريدريك مورين في مقالهما المنشور في حولية دائرة الآثار (Carlie and Morin 1987) عن نتائج عملهما في موقع القسطل، فمما لاشك فيه أن عمل هذين الباحثين قد يكون من أشمل المشاريع التي تم تنفيذها في قصر القسطل ومسجده وخاصة في الجانب التوثيقي والتحليلي للعناصر المعمارية في الموقع ومحيطه، إلا أننا قد لا نتفق معهما فيما ذهبا إليه من تحليلهما لانحراف اتجاه محراب مسجد القسطل و بعض القبور الإسلامية الأثرية في مقبرة القسطل كونها لا تتجه مباشرة نحو مكة المكرمة بل تنحرف نحو الجنوب الغربي قليلاً، وقد خلُص الباحثان إلى أن مردّ هذا قد يكون في رغبة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان باتخاذ بيت المقدس قبلةً للمسلمين وتعظيمها بدلاً من مكة المكرمة التي كانت تحت سيطرة عبدالله بن الزبير، وهذا كلام قد يكون انطوى على مغالطة بدون الإستناد على أدلة حقيقية، فكما هو معروف فإن قبلة المسلمين في بلاد الشام ومن ضمنها الأردن، هي باتجاه الجنوب، حيث توجد مكة المكرمة وقد كان تحديد اتجاه القبلة حتى وقت قريب يتم بدون أجهزة المساحة المتوفرة حديثاً، (كتلك التي استخدمها الباحثان)، فكان يكفي الاتجاه جنوباً عند الشروع في الصلاة وعليه كان يُحدد اتجاه المحراب عند بناء المساجد. وبعد اختراع أجهزة المساحة الدقيقة والتي يمكن من خلالها تحديد اتجاه بيت الله الحرام في مكة المكرمة بالنسبة للمنطقة التي يكون الشخص متواجداً فيها، فقد تم ملاحظة أن كثيراً من المساجد ومنها ما بُني في القرن العشرين قد تم بناؤها باتجاه ينحرف عن اتجاه القبلة، ولدينا في مسجد أبو بكر الصديق والمعروف بإسم مسجد الشيشان في مدينة الزرقاء والذي بُني في بدايات القرن العشرين خير مثال على ذلك، حيث قامت وزارة الأوقاف قبل ما يقرب من أربع سنوات بتعديل اتجاه القبلة فيه بعدما تبين من خلال أجهزة المساحة الحديثة انحرافها إلى الغرب عن اتجاه مكة المكرمة **(الشكل ٢٦)** وكذلك الأمر بالنسبة لمسجد عمر بن الخطاب في الزرقاء الذي بني في النصف الأول من القرن العشرين والكثير من المساجد الأخرى في المملكة، فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة للمساجد فمن الطبيعي أيضاً أن نشاهد الإنحراف في اتجاه بعض القبور إذا أردنا استخدام أجهزة المساحة الحديثة عند تحديد اتجاهها.

وفي نهاية هذا البحث لابد من الإشارة بالشكر إلى فريق معهد مادبا لفن الفسيفساء لقيامهم بتنفيذ أعمال الصيانة الوقائية لبعض الأرضيات الفسيفسائية داخل غرف قصر القسطل تحت إشراف السيدة

سماهر عيسى. ومن الجدير بالذكر أن أعمال الصيانة والترميم وإعادة التأهيل لمسجد القسطل الأثري قد تمت من خلال كوادر دائرة الآثار العامة ومن موازنتها الخاصة بالإضافة إلى المساهمة المشكورة من وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية في تأمين السجاد وأجهزة الصوت للمسجد. ولابد لي من أن أتقدم بالشكر إلى فريق العمل الذي رافقني خلال هذا المشروع وهم الإخوة العمال، والسائق عامر الجبور والمسّاح توفيق الحنيطي، وأخص بالشكر الكادر الفنّي في دائرة الآثار الممثل بالسيدين شكري منّون وأحمد جميل اللذان كان لهما الدور الأبرز في إنجاز أعمال الصيانة والترميم بكل مهارة واحترافية.

المراجع

ابن حزم، علي بن أحمد

١٩٨٣ **جمهرة أنساب العرب**، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خيّاط، خليفة

١٩٦٨ **تاريخ خليفة بن خياط**، وزارة الثقافة السورية، دمشق.

البكري، عبدالله بن عبد العزيز

١٩٨٣ **معجم ما ستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، عالم الكتب، بيروت.

بيشة، غازي

٢٠٠٤ **ترميم المئذنة الأموية في القسطل**، تقرير غير منشور، دائرة الآثار العامة

الحموي، ياقوت

١٩٩٣ **معجم البلدان**، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

الطبري، محمد بن جرير

١٩٦١ **تاريخ الرسل والملوك**، ج/٧، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر.

الطبري، محمد بن جرير

١٩٦١ **تاريخ الرسل والملوك**، ج/٣، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر.

عطوان، حسين

١٩٨١ **الوليد بن يزيد عرض ونقد**، دار الجليل، بيروت.

لاش، احمد

٢٠١٢ قصر طوبة شاهد حي على سقوط دولة بني أمية، **حولية دائرة الآثار العامة** ٥٦: ٩-٢٩.

Bibliography

Addison, E.

2000 The Mosque at al-Qastal: Report From al-Qastal Conservation and Development Project 1999-2000, *ADAJ* 44: 477-491.

Bisheh, G.

2007 The Umayyad Minaret at al-Qastal and its Significance, *SHAJ (IX)*: 263-267.

Carlier, P. and Morin, F

1984 Recheches Archeologiques Au Chateau De Qastal (Jordanie), *ADAJ 28*: 343-383.

1987 Archaeological Researches at Qastal Second Mission 1985, *ADAJ 31*:221-246.

1987 Qastal al-Balqa': An Umayyad Site in Jordan, The Fourth International Conference on the History of Bilad al-Sham, VOL II: 104-138.

Bacquey,S and Imbert, F.

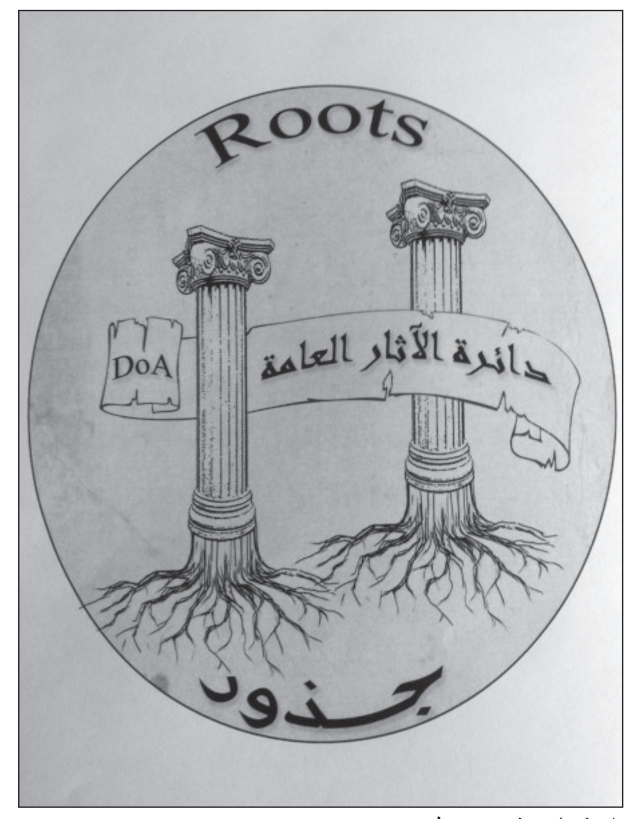
1986 La Necropole De Qastal, *ADAJ 30*: 397-404.

Kreswell, K. A. C.

1969 Early Muslim Architecture, Oxford.

الاكتشافات الأثرية بين الحقيقة العلمية والصخب الإعلامي

أحمد لاش وهالة السيوف ونيرمين الفايز



١. شعار مشروع جذور.

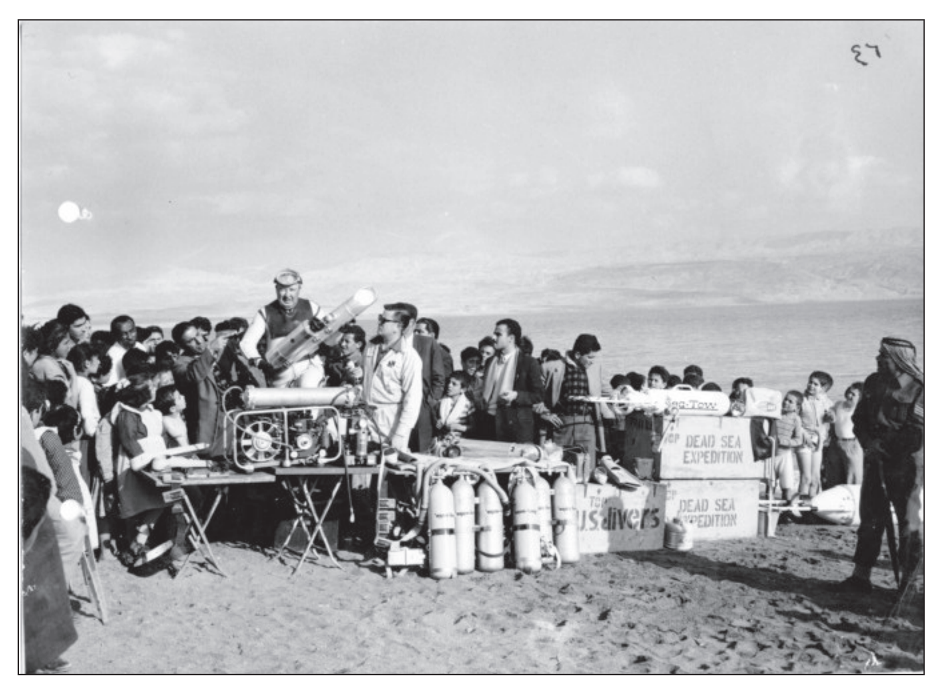
مقدمة

ارتبط علم الآثار منذ نشأته ارتباطاً وثيقاً بما تنازعته النفس البشرية من ولعها بالإستكشاف وسبر أغوار الماضي واستحضاره والولوج إلى المجهول منه، فالنظرة العامة للماضي لدى الغالبية من الناس تتسم بنوع من التبجيل والحنين ونزع مافي ذلك الماضي من شوائب ليتوأم مع النظرة المثالية التي خلقناها في أنفسنا لذلك الماضي، كما قد يولع الكثير من الناس بوصف الكثير من الأحداث التاريخية أو المظاهر الأثرية بالتوصيفات التي تتسم بالغموض والخروج عن قوانين الطبيعة ومألوف الأشياء. في المقابل فإن علم الآثار هو علم يقوم على الدلائل والبراهين المادية والتحليلات العلمية بُغية الوصول إلى الحقيقة المجردة، ومن أكثر الأمور إشكالية هو ما يقوم به البعض من استنطاق المعلم الأثري وتقويله ما يريد الباحث سماعه، بناءً على تعصب الباحث الأثري لمعتقده الديني أو فكره السياسي، وذلك بالإستعجال في الحكم على المُكتشف الأثري باسقاط ما تشبّع به فكر ذلك الباحث من رواية تاريخية عن ذلك المُكتشف الأثري، ومما يزيد الطين بلّة عندما يُسارع ذلك الباحث إلى وسائل الإعلام ليُخاطب العامة بنتائج اكتشافاته التي لم تنل نصيبها بعد من البحث والدراسة والتحقيق، ليدور حولها ذلك الصخب الإعلامي الذي تكون مضّاره في الغالب على المُكتشف الأثري أكثر من منافعه، وفي منطقة كمنطقة الأردن وفلسطين فإن التنازع على الرواية التاريخية يُلقي بظلاله على الحاضر ليكون أحد أدوات الصراع الحديث الذي تعيشه المنطقة منذ بدايات القرن العشرين. ومن خلال سلسة مقالاتنا ضمن مشروع جذور[١] (**الشكل ١**)، فإننا سنتطرق في هذا المقال لمثال عن المشاريع الأثرية التي حظيت بصخب إعلامي في بدايات النصف الثاني من القرن العشرين، والتي شغلت حيزاً من حديث العامة والصحافة والإعلام لفترة من الزمن ثم خبت تلك الضجة الإعلامية وكأن الحديث عنها لم يكن وذلك بسبب عدم تطابق الرواية الإعلامية مع الحقيقة العلمية المُكتشفة.

١. أحد المشـاريع الاسـتراتيجية لدائرة الآثـار العامة، والذي يهدف إلى توثيق وحوسـبة كافة الوثائق والمراسلات والتقارير الخاصة بدائرة الآثار العامة منذ نشأتها.

اكتشاف مدينتي سدوم وعمورة
بعثة رالف بيني من سنة ١٩٥٩ إلى ١٩٦٥

لقد تناولت الكتب السماوية على اختلافها قصة أولئك القوم الذين كانوا يرتكبون الفواحش ولايتناهون عنها والذين أرسل الله لهم نبيه لوط عليه السلام لهدايتهم ونهيهم عما كانوا يفعلون، إلا أن جهوده في إصلاحهم لم تفلح فأمره الله سبحانه وتعالى بالخروج من أرضهم وأن يأخذ معه أهله إلا إمرأته، لينصب على أولئك القوم غضب الله وسخطه، وقد تطرقت بعض الكتب السماوية إلى تلك القصة بشيء من التفصيل كما ورد في العهد القديم على سبيل المثال، من تسميةٍ لبلدة أولئك القوم وهي سدوم وعموره ووصف موقعها، في حين لم يتطرق الخبر القرآني إلى تسمية بلدتهم أو مكانها بل اكتفى بذكر الفواحش التي كانوا يفعلونها والعذاب الذي وقع عليهم. وقد ظل تحديد مكان هاتين البلدتين مجهولاً لأتباع الديانات السماوية الثلاث، بحيث شكلت هذه النقطة هاجساً لبعض المشتغلين بالآثار ممن عملوا على اسقاط الرواية الدينية على الموقع الأثري، ومن هؤلاء السيد رالف بيني Ralph E. Baney رئيس جمعية التقارب المسيحي في مدينة كنساس الأمريكية، "والتي وجِد فرع لها في مدينة بيت لحم" وذلك بوصفه خبيراً في الغطس والتصوير تحت الماء، والذي تقدم لدائرة الآثار العامة في شهر كانون الأول من سنة ١٩٥٩ بمشروع للغطس في أعماق منطقة اللسان في البحر الميت للبحث عن بقايا مدينتي سدوم وعمورة الوارد ذكرهما في كتاب العهد القديم، وفي بلد كالأردن تتسم سياسته بالإنفتاح والتعايش الديني وقبول الآخر، لم يكن لديه ما يمنع من فتح باب الإستكشاف في تلك المنطقة، بل على العكس قام بتشجيع تلك البعثة والترحيب بها ودعمها، علّها تخرج باكتشافات أثرية تشكل مقصداً لمزيد من الزائرين والسياح لهذا البلد، ومن ناحية أخرى فإن هذا لايتعارض مع الرواية الدينية فيما يختص بقوم نبي الله لوط وما حلّ بهم من العذاب، والتي تؤمن بها الغالبية المسلمة من سكان المملكة. وعليه فقد تمت الموافقة على طلب السيد رالف بيني بتاريخ ١٩٦٠/١/١٠ وإعطاؤه التصريح الرسمي للبدء بتلك المهمة لغاية ١٩٦٠/٣/٣١، بالرغم من التحفظات التي أبداها البعض حول كفاءة السيد بيني والشبهات التي تحوم حوله. ويتضح من خلال المراسلات الأولى التي قام بها السيد بيني قبل مباشرته بالعمل، شغفه بوسائل الإعلام والظهور الإعلامي (**الشكلين ٢، ٣**)، فقد كان من ضمن فريقه مندوب صحفي لتغطية أعمال البعثة ونشاطاتها ونشرها في وسائل الإعلام الأمريكية، كما كان من ضمن جدول أعماله قبل البدء بمباشرة العمل عقد مؤتمر مع مدير عام دائرة الآثار في ذلك الوقت الدكتور عوني الدجاني وبعض المسؤوليين الآخرين والتقاط صورة لهم بجانب أدوات الغطس التي سيتم استعمالها، كما طالب بتنظيم معرض في نادي الملك حسين لمعدات الغطس التي سيقوم بجلبها ليتم تصويره ونشره في وسائل الإعلام، كما طالب بتوفير طائرة مروحية له للقيام بأعمال المسح والتصوير فوق منطقة البحر الميت ومحيطها وتأمينه بسيارتي جيب وعدد من الحراس ورجال الأمن. لم يمض وقت طويل على صدور الموافقة الرسمية للسيد بيني للبدء بمشروع الغطس حتى وصل إلى الأردن بمعية فريقه ومعداتهم ليبدأ عمله هناك مع بدايات شهر آذار ١٩٦٠، إلا أنه بعد بضعة أسابيع قام برفع تقريره الأولي إلى دائرة الآثار العامة بتاريخ ١٩٦٠/٣/٢٣ يزف إليها به خبر اكتشافه لما يثبت وجود مدينتي سدوم وعمورة مغمورتان بمياه البحر الميت، فقد أشار السيد بيني أنه من خلال عملية مسح شملت ٢٦٧ ميلاً من المصب الشرقي لنهر الأردن والشاطئ الشرقي والغربي للبحر الميت، وبعد الغوص لعمق ١٧٠ قدماً في مياه البحر الميت، فقد تم اكتشاف طريق قديم يصل شاطئ البحر الميت بجزيرة تقع في وسطه، كما قام باكتشاف ما مجموعه تسعة تلال متفاوتة الإتساع تغمرها مياه البحر الميت تنتشر بها بقايا جذور وسعف النخيل، وكذلك اكتشاف قناة قديمة تمتد من الشاطئ الشرقي للبحر الميت إلى منطقة اللسان، وأنه متيقن من وجود مدينتي سدوم وعمورة في تلك المنطقة المغمورة بالمياه بناءً على تلك الدلائل. مالبث خبر هذا الاكتشاف أن وجد طريقه للصحافة والإعلام، لينتشر خبر اكتشاف مدينتي سدوم وعمورة انتشار النار بالهشيم، وتتداوله معظم وكالات الأنباء العالمية والمحلية، بدون أن يتم التحقق من صحة ما أورده السيد بيني والتي يشير إليها كدلائل مادية دامغة على اكتشافه. وقد يكون صحة تصريح كهذا ينطلي على العامة وغير المختصين،



٢. جانـب من الحملـة الإعلامية لبعثة الإستكشاف.



٣. جانـب من الحملـة الإعلامية لبعثة الإستكشاف.

لكنه لا ينطلي على أي باحث أكاديمي مختص بالآثار، فما أن وصل تقرير السيد بيني إلى مساعد مدير عام دائرة الآثار في ذلك الوقت، الأستاذ محمود العابدي حتى نسفه عن بكرة أبيه وأوصى بأن لايتم التصريح للسيد بيني بالعمل كونه لا يمتلك أدنى المؤهلات التي تخوله للعمل الأثري والحكم على طبيعة الأشياء، فالقناة الأثرية التي يدّعي السيد بيني وجودها والتي تمتد من الشاطئ الشرقي للبحر الميت إلى منطقة اللسان، ماهي إلا قناة حديثة قامت ببنائها النقطة الرابعة الأمريكية لمنع تسرب مياه البحر الميت المالحة إلى مياه البرك الرومانية العذبة بالقرب من منطقة اللسان، أما الطريق القديم الذي يدّعي السيد بيني اكتشافه، فما هو في حقيقة الأمر سوى طريق حديث بعرض ثلاثة أمتار بني من قبل السيد شكري ديب لمصلحة شركة البوتاس الفلسطينية السابقة وذلك لنقل أكياس الملح من جنوب البحر الميت إلى كاليه، وقد رُدمت تلك الطريق أثناء الحرب العربية الفلسطينية سنة ١٩٤٨، أما بخصوص مدينتي سدوم وعمورة التي يدّعي السيد بيني اكتشافهما، فهو لم يأتِ بأي صورة يمكن أن يتم التقاطها لهما بواسطة آلات التصوير التي بحوزته كما

أنه لم يقدم أي دليل مادي على وجودهما، بالإضافة إلى أن منطقة الخطر للغوص في مياه البحر الميت المالحة المشهور بكثافته التي تزيد بنسبة ٣٥٪ عن باقي البحار لا يتجاوز عمقها ١٠٠ قدم، بينما يقول السيد بيني بأنه قام بالغطس لعمق ١٧٠ قدم، أما بقايا الأشجار التي أشار لها السيد بيني فهي ليست في موقعها الأصلي بل جرفتها مياه الأمطار والسيول من الجانب الغربي وقد لاحظ وجودها السيد لانكستر هاردنغ مدير الآثار الأردنية السابق، وكتب عنها قبل ثلاثين عاماً من وصول بعثة السيد بيني.

لم يلبث خبر اكتشاف بعثة السيد بيني لمدينتي سدوم وعمورة إلا أن خبا فجأة في وسائل الإعلام المختلفة كما ظهر فجأة، ولم يعد يتم التطرق إليه، بعدما ملاء الأوساط الإعلامية صخباً وضجيجاً. علماً بأن السيد بيني قد صُرّح له بالعودة والغطس مجدداً في مياه البحر الميت في ربيع عام ١٩٦٤، إلا أنه في زيارته تلك لم يتطرق إلى أي اكتشافات حديثة في حين قام بالتركيز على تسويق جهاز غطس حديث يمكن حمله بسهولة !!!.

وبهذا طويت صفحة من الصخب الإعلامي التي رافقت بعثة السيد بيني وادّعائه باكتشاف مدينتي سدوم وعمورة التوراتيتين، فعلم الآثار لا يعترف سوى بالحقيقة المادية المجردة وهي الفيصل في الحكم على أي اكتشاف أثري.

قراءاتٌ جديدةٌ لنقوشٍ وكتاباتٍ فسيفسائيَّةٍ بيزنطيَّةٍ ساسانيَّةٍ سريانيَّةٍ وأمويةٍ مسيحيةٍ، والمكتشفة في محافظة المفرق من خلال أعمال التنقيب والمسوحات الأثريَّة ما بين الأعوام ١٩٩١م-٢٠١٦م

عبد القادر محمود الحصان

مقدمة

تُعدُّ محافظة المفرق من أهم المحافظات؛ بدلالة العثور على مواقعٍ أثريةٍ تحوي العديد من النقوش والكتابات القديمةً ومنها: الفسيفسائيَّة المسيحيَّة، والصفائيَّة، والثموديَّة، واللحيانيَّة، والإسلاميَّة وغيرها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وقوع المحافظة ضمن مناطق هامة واستراتيجيَّة، وخاصةً تلك الطرق الدوليَّة ومن بينها: طريقي ترجانوس وديوكلتيانوس، وطريق الملوك القديم، وطريق الحاج الشامي في العصور العربيَّة الإسلاميَّة، وتوسطها على حدود الديكابوليس (المدن العشر المتحدة)، ومن خلال استقراء الواقعِ الحالي للمفرق نلاحظ بأنَّ التاريخَ يُعيد نفسه ثانيةً؛ لوجود الطرق الدوليَّة والتجاريَّة الهامَّة الواصلة ما بين الأردن، وسوريا، والعراق، والسعوديَّة، وكذلك طريق سكة الحديد الحجازي الأردني وصولاً إلى أوروبا، وكافة أرجاء آسيا (الحصان: ١٩٩٩).

إنَّ أعمال التنقيبات والمسوحات الأثريَّة الميدانيَّة التي قمت بها وأشرفت عليها على مدى ما يزيد عن ربعِ قرن من الزمان في ربوع محافظة المفرق وخاصةً في المواقع التالية: أم الجمال، والفدين، ورحاب، وحيّان المشرف والبادية الشماليَّة الشرقيَّة وغيرها فقد عُثِرَ أثناء ذلك على عشرات آلاف من النقوش والكتابات القديمة المتنوعة سالفة الذكر في أرجاء محافظة المفرق.

تناولت الدراسة نقوش لاتينيَّة جديدة تنشر لأول مرة، حاملةً معها مضامين تاريخيَّة، وأثريَّة، وأمّا المنهجية فجاءت بأسلوبٍ تحليلي وصفي، فقد قمت بقراءة النقوش، ونقحرتها، وقدمت شرح عليها، ولم أقم بتحليها مَعجمياً بهدف حماية مُلكية حقوقها، حيثُ سيتم تحليلها تحليلاً عِلمياً وِفق النِظام المُتبع عند الدارسين والباحثين في الكتابات القديمة.

١. الكتابات الفسيفسائيَّة المسيحيَّة في موقع رحاب في العصور (البيزنطيَّة الساسانيَّة الفارسيَّة والأمويَّة)

الكتابة التذكاريَّة الإغريقيّةِ

النقحرة

+ΧΑΡΙΤΙΘΥΙΥΧΥΕΘΕΜΕΛΙΟΘΗSΕΤΕΛΙ
ΟΘΗΤΟΕΥΚΤΗΡΤγΑΓSSΝΙΚωΦΟΡΚωΝCΤ
ΑΝ
ΤΙΝγΕΠΙΤγΑΓΙωΠΟΛΥΕΥΚΤΟΥΑΡΧΙΕΠΙC
ΚSΜΗΤΡωΠΟΛΙΤ
-ΠΡΟΝΟΙΑCSΚΑΜΑΤΟCΚΑΙΟΥΜΟΥΠΡΟ
ΚΟΠΙγΚΟΜSΥΠΕΡΟΥΝCωΤΗΡΙΑCSΑΝΤ
ΙΛ
ΗΜΨΕCΕωCΑΥΤΟΥSΤωΝΘΕωΦΥΛΑΥΤΟΥ
ΤΕΚΝωΝ.
-SΔΙΑΦΕΡΟΝΤωΝCΠΟΥΔSΙωΑΝΝγsΓΕΡΜ
ΑΝγΕΥΛΑΒΒSΠΑΡΑΜΟΝΑΡΡ
-ΜΦΕΒΡΟΥΑΡΙωΚΗΧΡΟΝωΝΙΑΑΝΔSΤγΕΤ
ΟΥCΦΙΖΗΠΑΡΧΙΑS|+

القراءة

+χαριτιθεουΙησουχριστουεθεμηλιοθηκαιετελιο
θητοευκτηριοντουΑγιουκαιΝικωφορουκωνστα
τινουεπιτουαγιωτουπολυευκτουαρχιεπισκοπου
καιμητρωπολιτου
-προνοιαςκαικαματοsκαιουμουπροκοπιουκομιτ
ουθπεροθνσωτηριαsκα ιαντιλημψεσεωsαυτουκ
αιτωνθεωφυλεστατωναυτουτεκνων
-καιδιαφεροντωνσπουδηΙωαννουκαιΓερμανου
ευλαβεστατωνπαραμοναρ
ιωνμηνιφεβΡουαριωκηχρονωνιαινδικτιονοs
τουετουsφιζηπαρχιαs+

التَرجمة إلى اللغة العربيَّة

١- بنعمة وشكر الإله واليسوع والمسيح تم بناء هذا المعبد (الكنيسة) من أساساته وحتى نهايته في عهد جزيل القداسة رئيس الأساقفة المتروبوليت يوليفتوس وتم إهداءه للمنتصر (المظفر) القديس نقفور قسطنطينوس.
٢- وذلك بتجهيز وعمل من قبل قيّوم بن بروكوبيوس ويحتسبها لحبه الشديد لله ويسأله الخلاص وطول العمر والبقاء له ولإبنائه.
٣- وبإحسان وعناية وجهود (من يوحنّا وجرمانوس جزيلا الوقار والتقوى والورع المسؤولين، وذلك في شهر شباط من اليوم الثامن والعشرين منه، في الزمن الحادي عشر من الخمس عشرية للعام ٥١٧م من تاريخ المقاطعة.

٢. كتابات دير القديس نقفور قسطنطينوس التي أمام الهيكل الرئيسي والتي في وسط الدير

الكتابة اليونانيَّة التذكاريَّة لكنيسة القديس الشهيد يوحنا المعمدان ٦١٩م

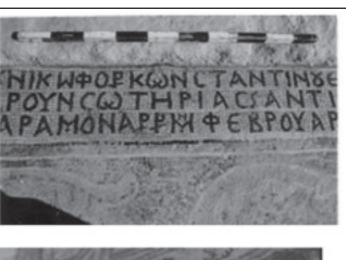
النقحرة

-ΕΠΙΤΟΥΑΓΙωΤΑΤΟΥΚΑΙΜΑΚΑΡΙωΤΑΤΟΥ
ΠΟΛΥΚΤΟΥ ΑΡΧΙΕΠΙCΚΟΠΟΥς
-ΕΨΗΦΟΘΗΟΝΑΟCΟΥΤΟΤΟΥΑΓΙΟΥςΒΑΠ
ΤΙCΤΟΥ ΙωΑΝΝΟΥΕΚΤωΝΤΟΥ
ΝΟΥΤΟΥΚΑCΤΡΟΥς
-ΤΟΥΑΓΙΟΥΤΟΠΟΥΕΚCΠΟΥΔΗCΓΕωΡΓΙΟ
ΥΠΡΕCΒς ΠΕΡΙΟΔΕΥ ΤΟΥ
ΚΑΙCΕΥΗΡΟΥΟΙΚΟΝΟΜΟΥ
-ΕΝΜΗΝΙΑΠΕΛΛΑΙωΧΡΟΝωΝΟΓΔΟΗCΙΝ
ΔΚΤΙΟΝΟC ΤΟΕΤΟΥC ΦΙΔ
ΤΗCΕΠΑΡΧΙΑC

أسفل الكتابة التذكارية مباشرةً

ΑΥΔΝΑΙΟC----ΥΠΕΡΒΕΡΕΤΕΟC ςC

صور النقوش


ΔYCTPOC --- ξANΘIKOC
ΓION APTEMECIC ΔAI
CIOC
EYPATHC TIΓPIC

القراءة

-επι του αγιω τατου και μακαριω τατου πολυκ
του αρχι επισκοπου και μητροπολιτου
-εψηφοθη οναος ουτος του αγιου και βαπτισου
ιωαννου εκτωντου---νου του-καστρου και
-του αγιου τοποΥ εκσποδης Γεωργιου
πρεσβυτερου και περοδε
υ του και σευηρυ οικονομου
-εν μηνι Απεππαιω χρονων ογδοης ινδκτιονος
του ετους ΦΙΔ
της επαρχιαις

التَرجمة إلى اللغة العربيَّة

أ- في عهد جزيل القداسة والوقار المبارك الاسقف بوليقتوس رئيس الأساقفة.

١- رُصفت أرضية هذا المعبد (الكنيسة) وأهديت إلى القديس يوحنا المعمدان على نفقة المال العام المقدم من أهالي الحصن (القلعة)

٢- وذلك بجهود وغيرة وحماسة الكاهن جورجيوس والزائر سيفيريوس المدير المنتدب (الاكونوموس)

٣- وذلك في شهر(التعين) تشرين الثاني في الزمن الثامن من الخمس عشرية وذلك في عام ٥٤١ من تاريخ الولاية (المقاطعة).

ب- الكتابة الثانيَّة

أسماء أشهر السنة باللغة المقدونية الإغريقية:
أودنايوس، أوبربرايتوس، دوستروس، كسانثيكوس، ارتميسيوس، دايسيوس.

ج- الكتابة الثالثة

أسماء نهر الفردوس الثلاث:
دجلة TIGRIC ، الفرات EYRATHC، جيون GION.

د- الكتابة الرابعة

أناستاسيس ANACTACIC: القيامة.

هـ- الكتابة الخامسة

أسماء الأشهر الأخرى غوربيايوس GORPIAIOS، ديوس DIOS، بريتيوس PERITIOS، بينهيموس PANHIMOS.

و- الكتابة السادسة

اسم النهر الفردوسي الرابع: فيسون FISON

الشرح:

بلغ طول الشريط الكتابي لكل سطر ٣٩٤ سم، وعرضه من الداخل ٥٢ سم، وعرض كل سطر على حده ٩،٥ سم، وبُعد كل سطر عن الآخر ٣سم، وأطوال الأحرف ٢-٨سم.

صور النقوش







٣. الكنيسة الوسطى في المجمع الكنيسي لرحاب، جنوب

كنيسة يوحنا المعمدان وتفتح عليها مباشرة، شباط، ٥٩٠م

القراءة

Ἐψηφώθη ἡ ἁγιωτάτη ἐκκλησία ἐκ τῶν
τοῦ [κ]οινοῦ τοῦ κτήματος (καὶ) τῆς ἐκλησίας
[ἐπὶ] τῶν θεοφιλλ(εστάτων) Προκωπίου (καὶ) Σεργίου
πρεσββ(υτέρων) κ(αὶ) Κ[ο]μιτᾶ διακ(όνου)
κ(αὶ) οἰκονόμου ἐν ἔτι υπε΄ τῆς ἐπαρχ(ίας)
χρ(όνων) ἀρχ(ῆς) θ΄ ἰνδ(ικτιῶνος)

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- فرشت أرضية هذه الكنيسة المقدسة بالفسيفساء.
٢- على نفقة عامة المواطنين في البلدة (القرية) وعلى نفقة الكنيسة (البطرياركية).
٣- وذلك في عهد جزيل القداسة أحباب الله بروبوس وسيرجيوس والأسقفية والشماسي كوميتاس وكذلك المدير المالي المنتدب (ايكنوموس) في عام ٤٨٥ من تاريخ الولاية في الزمن التاسع من الخمس عشرية (بداية شهر شباط ٥٩٠م).

الشرح

تتكون الكتابة من خمسة أسطر بطول ٢٠٧ سم، وعرض ٥٥ سم، وإرتفاع الأحرف ٩ سم.

٤. الكتابة التذكارية للكنيسة الوسطى في المجمع الكنسي بداية اكتشافها كان في العام ٢٠٠٨م، رحاب

كنيسة *القديس المظفر* جورجيوس *(الخضر عليه السلام)*، ٢٣٠م

النقحرة

ΕΝΟΝΟΜΤΗ[ΑΓSΤΠΙΑΔΟC+
ΕΚSΠΡΟCΦ/ΘωΝΑΓΑ ΑΗΟ
ΜΟΗΟΚΤSC ΤSΕΤΕΛΙωΘΗΘΗΤΟ
ΕΥΚΤΕΡΤΟΥΑΓSΓΕωΡΠΟΥΕΝ
ΗΑΠCΛΛΕωΧΡΗϊ ΗΔS ΤΟΥ ΡΚΔ ΕΓS
ΗCΠΟΥΔΗCΕΡΓΙΟΥΠΑΡΑΜS

القراءة

εν ονοματι της αγιας τριαδος+
-(ε)cκ προσφορα των θειωναγ αθων αγιου ηγουμενου ο
μοηοκ τες τε ετελιωθη θη του-
-ευκτερου του αγιου Γεωργιου που εν
-μενηνι απc(ε)λλεω χρονων Ηι ηινδικτιωνος
του ετου ΡΚΔ εγραφη
-ησπουδη σεργιου παρα μοναριους.

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- باسم الثالوث المقدس.
٢- تمت التقدمة من قبل أحباء الله السبعين وصاحب القداسة رئيس الدير.
٣- المحق وقد أنجزت باسم.
٤- المنتصر المظفر القديس جورجيوس وذلك في.
٥- شهر ابيلليون "آذار" في الزمن الثامن من الخمس عشرية لعام ١٢٤ وكتبت.
٦- بجهود وغيرة سرجيوس المسؤول

صورة النقش



٥. الكتابة التذكاريَّة لكنيسة المظفر القديس جورجيوس، الخضر -عليه السلام- ويلاحظ بأنها تختلف عن كل الكتابات من حيث الشكل والمضمون.

الكنيسة البيزنطية ٥٤٥م – شونة عواد الحراحشة. والى جانبها يوجد دير أموي على هيئة قاعة مقامة على أقواس وقد دمرت الكتابة التذكاريَّة والصور المقدسة وبقيت أنفورة تحيط بها شجرتي نخيل وأمامها عند المدخل صليب عملاق من الفسيفساء.

النقحرة للكتابة الأولى أمام حاجز قدس الأقداس

---- -ΕΨΗΦΟΘΗ----
---- -ΟΝΑΟϹ-----
---- -ΤΟΥΙωΑΝΝΟΥΑΡΧΙΕΠΙϹΚ-----
---- -ΔΙΑΚΟΝΟΜΟΥ ΑΜΕΨΗΦωΘ------
---- -ΧΡΕΙΝΔ --- ΕΤΟΥ ΥΛΘ----

النقحرة للكتابة الثانية

---- -ΗΦ ΟΘΗΟΝΑΟϹ ΤΟΥ----
---- -ΕΛΟΥΕΚϹΠΟΥΔΗϹΚΑΙ----
---- -ΤΟΥΠΙϹ ΤΟΥΚΑΙΔΥξΟΝΙ----
---- -ΠΡΕϹΒs ΤΗϹ ΕΚΛΕϹ----
---- -ΟΡΔϹΤΗϹ ΚωΜΗ-----

القراءة للقراءة الأولى

---- -εψη φοθη----
---- -Ο ναος-----
---- -επιτου αγιου τατου Ιωαννου αρχι επισκοπου-----
---- -διακονου ονομου αμονου εψηφωη------
---- -χρονων ε ινδκτινοs του ετου Υλθ----

القراءة للكتابة الثانية

---- -εψηφοθη οναοs του----
---- -ελου εκσποδης και----
---- -του πιστου και δυ ξονυ----
---- -πρεσβυτρου της εκλησιας----
---- -ορδς της κωμη----

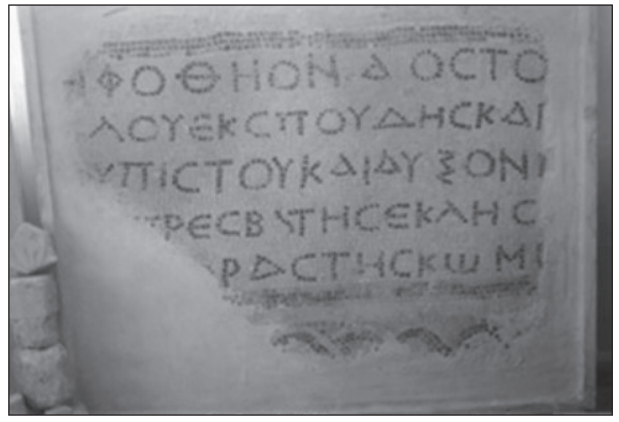
الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الأولى

١- فرشت بالفسيفساء ....
٢- أرضية هذا المعبد ....
٣- .... في عهد جزيل القداسة يوحنا رئيس الأساقفة ....
٤- .... باسم الشماس أمونوس فرشت بالفسيفساء ....
٥- .... في الزمن الخامس للخمس عشرية لعام ٤٣٩ ....

الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الثانية

١- .... فرشت أرضية هذا المعبد بالفسيفساء ....
٢- .... بجهود وغيرة ....
٣- .... المؤمن المحسن والمجيد ....
٤- .... كاهن الكنيسة ....
٥- .... للبلدة ....

صورة النقش



٦. إنَّ كتابة هذه الكنيسة غير متكاملة بسبب التخريب الذي حصل جراء البحث عن الكنوز فيها، ويلاحظ وجود كتابتين تذكاريتين الأولى موجودٌ فيها تاريخ، والثانية تجديدية على الأرجح وتقع هذه الكنيسة ذات الحجم الكبير بجانب الدير الأموي بطول ٣٦م وعرض ١٨م، ولها ثلاثة حنايا وصحن رئيسي وجناحين وأرضيتها الفسيفسائية ذات أشكال هندسية ونباتية خالصة وليس فيها أي تدمير أيقوني

الكنيسة السريانية القرن السابع الميلادي تقريباً في العام ٦٣٥-٦٣٦م، وقد اسميتها بهذا الاسم؛ لعثوري على كتابة فسيفسائية عند المدخل الغربي الرئيس للكنيسة باللغة السريانية اللهجة الفلسطينية المعهودة في مواقع رحاب وحيان المشرف والتي تذكر التالي بالعربية: من هذه البوابة يدخل المؤمنين

النقحرة

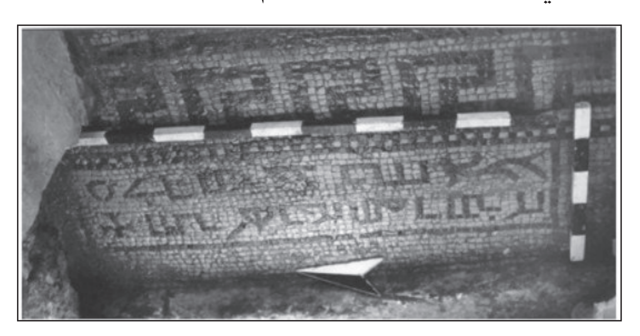
-ЄΝΟΝΟΜΑΤΙΤΗ
-ΑΓςΚςΟΜΤΡΙΑΔΟϹΑΝΗ--
-ΝЄωΘΗΨΗΦωΘϹΗΤЄϹ---
-ΠΑΡΟΝΤςΑΓς ΕΥΚΤ---
-ςЄΝΔΟ ζγΜΑΘ---
-ЄΚϹΠγΔςΚΙ
-ΤγΘЄΟΔΟΡς
-ΜΠΑΝ---ЄΤ-----ΧΡ---ΙΝ---

القراءة

-εν ονοματι της
αγιας και ομοουσιου τραιδος ανη-
νεωθη ηψωφωθε Cητες-
-παραντος του αγιου ευκταριου
-του ενδο ζου μαθιου---
-του θεοδορου---εν
... -μηνι παν(ημο)(ετους)---χρον

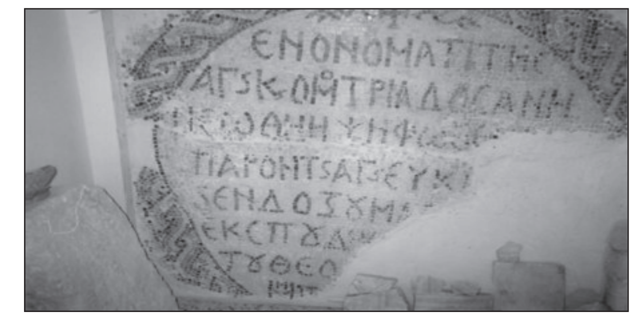
الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- باسم.
٢- الثالوث المقدس والمجسد.
٣- جددت وفرشت أرضية هذا المعبد بالفسيفساء هذا العام.
٤- بمشاركة المظفر القديس.
٥- للمجيد ماثيوس.
٦- بجهود وغيرة.
٧- لثيوذوروس.
٨- في شهر بانهيموس من عام.



الشرح على صورة رقم ١

الكتابة السريانيَّة التي عثر عليها عند المدخل الرئيس، والأخرى اليونانيَّة التي وجدت في وسط الصحن الكنيسة السريانية وقد تم نزعهما من مكانهما الأصلي وأحضرا إلى المتحف حرصاً عليهما من السرقة والتدمير.



الشرح على صورة رقم ٢

ويُلاحظ من خلال هذه الكتابة الفسيفسائيَّة الدائريَّة أن هذه الكنيسة جددت في عهد الأسقف ثيوذوروس وقد كان موجوداً بداية العهد الإسلامي ما بين الأعوام ٦٣٠ ـ ٦٣٨ م. وعلى الأرجح أن تكون قد أنجزت في العام ٦٣٦ م في عصر الفتوحات الإسلامية؛ بدلالة العثور على فخار إسلامي مبكر، بالإضافة إلى الكتابة السريانيَّة المرافقة عند المدخل الغربي الرئيسي على الأرضيَّة الفسيفسائيَّة والمكونة من سطرين، كما أن فسيفساء هذه الكنيسة ذات أشكال هندسيَّة خالصة، وليس فيها أي تدمير أيقوني كما في كنيسة القديس مينا المجاورة، وتقع هذه الكنيسة ضمن مبنى مطحنة القمح العثمانية المتأخرة أو ما يسمى **بخان أخو رشيده** كما تم الكشف عن أرضيات لكنيسة مجاورة لم تستكمل بعد وهذه صفة ثابتة في كنائس رحاب لوجود تجمعات كنيسة متجاورة لوجود المذهب النسطوري والأرثوذكسي في المنطقة والذي يحتم على المسيحيين عدم إقامة القداس مرتين في الكنيسة الواحدة في اليوم الواحد.

٧. كنيسة القديس فيلمون، ٦٦٣م

كتابة كنيسة القديس فليمون

النقحرة

ΧΑΡïΤΙΧΥΑΝΕΝΕωθΗïΨïΦω[ï[ΤγΑΓςΜΑΡ
-+
-ΤΥΡΟ[ΦΗΛΙΜΟ['ΕπΙ------ο[ΤΕΦΑΝγΔïΑΚ/
ςïΓγ
-ΕΚ[ΠγΔ/ς ΚΑΜΑΤΟ[ΤςγθΙωΔΟΡγΓΟΛΕγς+
ΑΥΤγΤΕΚΝ
-ΕΝΜ ΜΑΡ/ïΝΔςη Τγ[ΦΝΖ'+' ΠΕΤΡΟ[ΟΓΡ
ΑΨΑ]

القراءة

-χαριΤι χρισ του ανενεωθηι ψιφωσισ του αγιω
μαρ-
-τυροσ φηιμοσ επι του αγιω τατου στεφανου
διακωνου και ιγου μενου
-εκσποδη καμα τος και του θιωδορου Γολεου
και+αυτου τεκνον
-εν μηνιμαρ τιω ινδικΓιονος η του ετους
ΦΝΖ+πετος Ογραψας

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- بنعمة وشكر السيد المسيح جددت وفرشت أرضية هذا المعبد بالفسيفساء باسم القديس الشهيد.
٢- فهليموس وذلك في عهد استيفانوس الشماس مسؤول الدير.
٣- بجهود وغيرة وعمل ثيوذوروس ابن جوليوس + وابناءه.
٤- وذلك في شهر آذار من الخمس عشرية التسعين من عام ٥٥٧ + بطرس أوغرابساس.

الشرح

توجد هذه الكنيسة ضمن تجمع كنسي آخر في تل رحيبة بجوار كنيسة القديس سرجيوس الأموية الأخرى، ولكن هذه الكنيسة مجددة لاحقاً ولم يبق من آثار الكنيسة الأقدم سوى بقايا آثار حنيتها وأرضيتها الفسيفسائية وغرفة غربية مجاورة وهي ذات نظام القاعة الواحدة بطول ٢٠م، وعرض ١٠م، علماً بأنَّ حنية هذه الكنيسة مستطيلة الشكل وقد ألغيت الحنية نصف الدائرية لاحقاً. كما يلاحظ من آثارها على الفسيفساء. ومن حيث العمارة، والفسيفساء، والكتابات الفسيفسائية أيضاً، ونلاحظ أن اسم هذا القديس يستخدم بكثرة عند طائفة الأرمن وفي لبنان عند الموارنه. ونلاحظ جلياً أن عدد الكنائس التي دشنت في العصور العربيَّة الإسلاميَّة كثيرة منذ بدء الفتح الإسلامي لبلاد الشام ٦٣٥م- ٦٨٦م أي في العهدين الراشدي الأول، والاموي كاملاً زِدْ على ذلك أسمائهم العربية الواضحة أوبي، ومسكينة، وقيوم وغيرها كثير.

٨. كنيسة القديس سرجيوس ٦٨٦م

كتابة القديس سرجيوس

النقحرة

ΕΨΙΦΟΘΗΟΝΑΟCΟΥΤΟC ΑΓΙΟΥ CΕΡ-+
-ΓΙΟΥΕΠΙ ΤΗC ΥΚΟΝΟΜΙΑC CΤΕΦΑΝΟΥ ΠΡΕCΒΥΤΕ
-ΡΟΥ ΕΠΙΤΟΥΑΓΙω ΤΑΤΟΥ ΓΕωΡΓΙΟΥΜΗΤΡΟΠΟΛΗΤΟΥ
-ΚΑΙΑΡΧΗΕΠΙC ΚΟΠΟΥ ΠΑΡΑΝωΝΗΛΙΟΥΠΡΕCΒΥΤΕΡΟΥΚ
-ΑΙΘΟΜΑC Κ/ΚΑΙΟΥΑΥ ΤΟΥΑΓΙΟΥ ΤΟΠΕΤΟΥC ΦΠΕΤΗC ΕΠΑ
-ΡΧΙΑC ΜΗΝΟC ΦΕΒΡΟΥΑΡΙω
ΠΡΟΤΗΧΡΟΝΟΝΤΕΤΑΡΤΗCςΔ/ΜΑΥΙ Τς

القراءة

εψιφοθη Οναος του αγιου σερ-+
-γιου επι τησ υκονομιας στεφανου πρεσβυτε
-ρου επι του αγιω τα τουγεωργιου μητροπολη του
-και αρχη επισκοπου παρανων ηλιου πρεσβυτε ρουκ
-αι θομας και καιου αυτου αγου τοπου ετους ΦΠ ετης επα
-ρχιας μηνος φεβρουαριω προτη χρονον τεταρ της διακωνου μαυι του

الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الأولى

١- فرشت أرضية هذا المعبد باسم القديس سرجيوس.
٢- في عهد الاقونومياس استفانوس الكاهن.
٣- وفي عهد جزيل القداسة جورجيوس المتروبوليت "الأسقف".
٤- ورئيس الأساقفة المسؤول هيليوس الكاهن.
٥- وتوماس وكايوس ، في هذا المكان المقدس وذلك في عام ٥٨٠ من تاريخ.
٦- الولاية في غرة شهر شباط في الزمن الرابع لعهد مسؤول الدير الشماس.

الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الثانية

١- اوبيوس و.
٢- صوفيا.

الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الثالثة

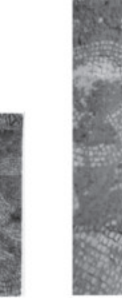
١- + والراهبان.
٢- دعيموس.
٣- ومسخينة "ومسكينه".

الشرح

الخمسعشرية: وحدة زمنية مؤلفة من ١٥ سنة كانت توضع في الإمبراطورية الرومانيَّة والبيزنطيَّة والأسقفيات المسيحية لتاريخ الأحداث العادية من بناء كنائس أو تنصيب أساقفة وبطارقة وغيرها.

صور النقوش









٩. كنيسة القديسة مريم ٥٣٤م

النقحرة الأولى أمام حاجز قدس الاقداس مباشرة

+ΕΨΗΦΟΘΗΚΑΙΕΤΕΛΕΙΟΘΗΟΝΑΟCΟΥΤ
ΟCΤΗCΑΓΙΑΙΜΑΡΙΑCЄΠΙΜΑΡΤΥΡΙγςΗΛΙ
γςΟΛЄΦγΥΙωΝΟΛЄΦΟΥ
-ΤωΝΜΑΚΑΡΥΠΕΡΑΝΑΠΑΥCЄωCΑΥ
ΤωΝςΤωΝΑΥΤωΝΓΟΗΕωΝΤγΕΤγCѰΚΗ
ΜΠΑΝΕΜγΘΧΡΙΑΙΝΧ
-ΝΥΝΔΕΑΝΑΝΕΟΘΕCΑΝΤΑΨΗΦΙΑΤ
ΑѰΤΑΕΠΙΗΛΙγΒΑCCγΤγΘΕΟCΕΒςΠΡΕ
CΒςΚΠΑΡΑΜΤγΕΤγCѰΟΖΧΡÅΙΝΧ

القراءة

+έΨηφŏθη και έτελειδθη ŏ ναŏς οŬτος τής άγιας
Μαριας έπι Μαρτυριου και Ηλιου και Ολέφου υιων Ολέφου
-των υακαρ(ιων) Ŭπέρ αναπαυσεως αυτων
και των αŬτων γονέων τοŬ ετους rΚΗ μη(νι)
πανευου θ χρο(νων) ια ινδ(ικτιωνος(
-νŬν δε ανανεοθε[σα]ντα ψηφια ταŬτα
επι Ηλιου Βασσου τοŬ θεοσεβ(εστατου)
πρεσβ(υτερου) και παραμ(οναριου) τοŬ ετους
rΟΖ χρ(ονοις) α ινδ(ικτιωνος).

الترجمة إلى اللغة العربيَّة، الكتابة الأولى: وهي كتابة كنيسة القديسة مريم ٥٣٣م

١- فرش بالفسيفساء وأنهي هذا المعبد باسم القديسة مريم في عهد مارتيريوس وهيليوس وأوليفوس وأبناء أوليفوس.

٢- طوبا لهم لراحتهم ولراحة والديهم في سنة ٤٢٨ في التاسع من شهر بانيوموس من الخمس عشرية الحادية عشرة.

٣- ولكن الآن أعيد تجديد الفسيفساء في عهد هيليوس ابن باسوس المتدين والمشرّف الكاهن في سنة ٤٧٦ من الخمسعشرية الأولى.

الترجمة إلى اللغة العربية، الكتابة الثانية: وهي كتابة كنيسة القديسة مريم ٥٨٢م

١- يا رب امنح الراحة ليوحنا ابن عزيزو.
٢- يا رب يا إله القديسة مريم وكل.
٣- القديسين ارحم.
٤- العالم أجمع وأنقذ.
٥- المتبرعين ويوحنا ابن أنائيليوس.
٦- كثير التقوى الشماء، في شهر "كسانثيكوس" من الخمس عشرية الأولى.

الشرح

تقع هذه الكنيسة بجانب مبنى البلدية مباشرة وسط بلدة رحاب وتعود للعام ٥٣٤م، وقد عثر على كتابتين تذكاريتين الأولى أمام الهيكل وهي موضوع البحث بطول ٥,٩١ سم وعرض نصف متر.

١٠. كتابة القديس استيفانوس ٦٢١م

النقحرة

+ЄΝΟΝΟΜΑΤΙΤSΑΓΙΑCSΟΜΟȣCSΤΡΙΑΔΟC [....] ȣΑΓΙΩΠΟΛΥЄΥΚS
ΑΡΧΙЄΠΙCΚΟΠȣЄΘЄΜЄΛΙΩΘSΟΝΑΟCȣΤΟCΤȣΑΓΙȣCΤЄΦΑΝȣS
ЄΨΗΦΩΘSSЄΤЄΛΙΩΘSЄΚΠΡΟCΦΟΒCЄΡΓΙȣΠΒЄS
CΤΒΥΙΩΝΓЄΩΡΓΙȣЄΝΤΩΠΑΤΡΙΚΙΩΑΥΤΩΝΤΟΠΩ
ΙΩΑΝΝȣΚΑΡΚȣCȣΠΑΡΑΜЄΝΜΜΑΙΩΧΒΗΙΝΔSΤȣЄΤSΦΙΒ

القراءة

1-+Εν ονοματι της αγιας χαι ομοονςιου

6- ος γονεον Εγραφη εν μηωι Μαπτιω χρανον ογδοης ινδιχτιωονς του ετους ΦΚΘ.

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- + بشكر من المسيح الرب ومنقذنا بني.
٢- وفرش بالفسيفساء وأتم معبد القديس مينا بعهد ثيوذوروس.
٣- صاحب القداسة والمشرف من الله بتقدمة.
٤- من بروكوبيوس ابن مايتيريوس وزوجته وأولادهم.
٥- من أجل إزالة الذنوب ومن أجل.
٦- راحة الوالدين، كتب في شهر آذار من الخمسعشرية الثامنة لسنة ٥٢٩.

كنيسة القديس عبيده، حيّان المشرف ٥٩٣م

النقحرة

1-+ΧΑ Ρ Ι Τ ï θ Υ Ι Υ Χ Υ Η Μ W Ν C W Τ Η
Ρ Ο C Є Π Ι Τ Ο Υ Γ Ι W Τ s s Μ
2-ΚΑ Ρ Π Ο Λ Ο Υ Ο Ķ Τ Ο Υ Α Ρ Χ Ι Є Π Ι C
Ķ Η Μ W Ν Π Α ΤΡ Ο ï Κ Ο Δ Ο Μ Η θΗs Η
3-Τ Η Ą Τ Ο Δ ïΑ Κ Ο Ν s Є Κ C Π Ο Υ Δ s Ο
Β Є Δ Ο Υ Π ΡЄ ΝЄ Τ Ι Υ ΠΗ ΧΡ Ι Β

القراءة

1. +ΧαΡιτι θεου ΤηбοΧριб Τουηmwv Cwτyηρos Επι Του
2. ΑγΙwtα Του Του ΜαΚαριου Πολouk Του Αρxi Επιб Κοπου Του ηmwv
3. Πατpwv ïkonδomwv ηθεmελιοθη Καi ηΤηλιοθη Το Δïα Κονου Εkбπουδη Οβεδου ΠρεбΒατε-ρou EvETi ηΠΗ Χρovov ΙΒ+

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- بشكر الله واليسوع المسيح مخلصنا ومنفذنا ، وفي عهد جزيل القداسة والطوبا بوليقتوس رئيس الاساقفة وتمت التقدمة لابونا ومؤسسنا الشماس من أساساتها وحتى نهايتها وذلك بجهود وغيرة الراهب عبيدة في عام ٤٨٧ في الزمن الثاني عشر منه .

Τριαδος επι του αγιωτατου Πολυευχτου
2-αρχιεπισχοπου εθεμελιωθη οωαος του αγιου Στεφανου χαι
3-εψηφωθη χαι ετελιωθη εχ προσφορας Σεργιου πρεσβθτερου χαι
4-Στρατωνας υιων Γεωργιου εν τω πατριχω αυτων τδπ
5-Ιωαννου Καρχουσου παραμοναριου εν μηνι Μαιω χρονοις ηινδιχτιωνος του ετους ΦΙΕ.

الترجمة إلى اللغة العربيَّة

١- + باسم الثالوث المقدس والمتوحد وفي عهد جزيل القداسة بوليقتوس.
٢- رئيس الأساقفة وضعت أساسات هذا المعبد باسم القديس استيفانوس.
٣- وفرش بالفسيفسات وأتم بتقدمة من الكاهن سرجيوس.
٤- وستراتون أبناء جورجيوس في موطنهم.
٥- ومن يوحنا ابن كاركوسو مسؤول الدير وذلك في شهر أيار من الخمسعشرية الثامنة من عام ٥١٥م.

١١. كتابة كنيسة القديس ميناس عام ٦٣٥م

النقحرة

القراءة

1- Χαριτι Ιησου Χριστου θεου χαι σωτηρος ημων εχτισθη χαι
2- Εψηφοθη χαι ετελτςθη ο ωαος του αγιου Μηωα επι Θεοδο
3- Ρου του αγιωτατου χαι θεοτιμητου μητροπολιτου εχ προσφο
4- Ρας Προχοπιου Μαρτθριου χαι Κομητισσης σθμβιου χαι τεχν
5- ων αυτων υπερ αφησεως αμαρτιων χαι αναπαυσε

٢- بإضافة الرقم ١٠٦ من تاريخ الولاية العربية يكون تاريخ هذه الكنيسة ٥٩٣م.

الشرح

لقد تم الكشف عن هذه الكتابة وكامل غرفة التعميد في موسم حفريات عام ٢٠١١م من قبل الباحث نفسه في حيان المشرف – المفرق .وتم استكمال أعمال التنقيب والترميم للكنيسة ذاتها والتي تجاورها أيضاً من جهة الغرب والتي يعتقد بأنها من أقدم الكنائس في العالم لتفردها من حيث العمارة وعدم وجود حنية بل هيكل فقط وينزل إليها بدرج وباب ضيق عرضه متر واحد فقط، ويبلغ طول الشريط الكتابي ٤٥٤ سم ، وعرضه يتراوح ما بين ٣٣-٣٤ سم، وأما عرض كل سطر على حده فيبلغ ٧-٨ سم.

ويلاحظ وجود ثلاثة خطوط فوق أحرف المختصرات، فالأول يوجد فوق (الله واليسوع المسيح) بطول يبلغ ٤٨ سم ، وأما طول الشريط الثاني الموجود فوق الأحرف الثلاث الخاصة بالتاريخ فيبلغ ١٧ سم، وأمَّا الشريط الثالث الموجود فوق الرقم (١٢) فيبلغ ١٠ سم، وبالعودة إلى الأحرف وأطوالها تتراوح ما بين ٥-٩ سم. وقد رصفت بالحجارة الصغيرة الخمرية المائلة للحمرة على أرضية بيضاء والشريط الخارجي رصف بالحجارة الصغيرة السوداء وهنالك خرطوش يحيط بالشريط الكتابي على شكل نصف دائرة بقطر ١٤ سم، ومن الجدير ذكره أن هذا الشريط الكتابي عثر عليه في الغرفة المستطيلة الموجودة أمام الكنيسة من الجهة الشماليَّة الغربيَّة والمخصصة على ما يبدو للتعميد لوجود إناء التعميد الحجري المتقن الصنع والكتابة أمامه ويبلغ طول الغرفة ٩,٥م بعرض خمسة أمتار.



Abdalqader Alhousan
allhousan@yahoo.com
Mafraq – Jordan

قائمة المصادر والمراجع

الحصان، عبدالقادر

٢٠٠٦ كنيسة المظفر القديس جورجيوس. **مجلة البيان** ٤: ١٣٩-١٤٧.

٢٠٠١ أضواء على آثار بلدة رحاب. **مجلة البيان** ١: ٢٢٠-٢٥٧.

٢٠٠٧ **مدونة النقوش العربية الإسلامية في محافظة المفرق.** عمان: وزارة الثقافة.

١٩٩٥ رحاب عبر رحلة الزمن. **مجلة الزهراء** ٤: ٣٧-٣٩.

٢٠٠٢ **أبحاث الملتقى الأكتشافات الحضارية في المفرق ومحيطها عبر العصور التقليدية والعربية والأسلامية.** عمان: وزارة الثقافة.

١٩٩٩ **محافظة المفرق ومحيطها عبر رحلة العصور – دراسات ومسوحات أثرية ميدانية.** عمان: وزارة السياحة.

٢٠٠٢ تاريخ وآثار مدينة رحاب وكنائسها الأثرية. **مجلة المحبة** ١٢: ٣١.

٢٠٠٢ أضواء على المكتشفات الأثرية الحديثة في مشروعي حفريات (الفدين – ورحاب) المفرق من خلال أعمال التنقيب ما بين الأعوام ١٩٩١-٢٠٠١م. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٦: ٧١.

٢٠٠١ النتائج الأولية للتنقيبات الأثرية في المفرق ما بين الأعوام ١٩٩١-٢٠٠١م. **حولية دائرة الآثار العامة** ٤٥: ٥.

قاقيش، رندا فؤاد

٢٠٠٧ **عمارة الكنائس وملحقاتها في الأردن في العهدين البيزنطي والأموي.** عمان.

Piccirillo,M.

1980 The Antiquities of Rihab of the bene hasan. *ADAJ* 24:153-156.

1981 Les Antiquite's de Rihab des Bene Hasan. *Revue Biblique* 88:62-69.

1989 Rihab. *Akkadica Supplementum*. VIII.

ملامحٌ فنيَّةٌ لنقوشٍ عربيَّةٍ شماليَّةٍ (الصفائيَّة) من منطقة الضويلة

علي عطاالله الحاج

المُلخص

يَتناولُ البحثُ مجموعةً من الرسومات الصخريَّة التي رافقت نقوش عربيَّة شماليَّة، وهي نقوش صفائيَّة، عُثِرَ عليها أثناء المَسح الأَثري الميداني بمنطقة الضويلة، الواقعة شَمال شرقي الأردن حيثُ قام بالمسح الأستاذ الدكتور سلطان المعاني، والأستاذ الدكتور مهدي الزعبي، والباحث[1]، وتشتمل الدارسة على تحليل الرسومات التي تكونت من صور آدميَّة، وحيوانيَّة، ورمزيَّة.

أمّا الصور الآدميَّة فهي عددٌ لا بأس به، تعددت صورها من فرسان يمتطون أحصنة يقاتلون، ويصطادون الحيوانات، بينما الصور الحيوانيَّة فهي كثيرة جداً تنوعت وتعددت أشكالها، فمنها الجمال، والأحصنة، والنعام، والبغال، والأغنام، وصورةٌ واحدةٌ لثورٍ، وأخيراً الأشكال الرمزيَّة التي جاءت أَشكالها متنوعة منها قرص الشمس، والخطوط السبع الطوليَّة، والعَرْضِيَّة، والدوائر السبع، والنقاط السبع، حيثُ سيتم دراسة كل الأشكال المذكورة سابقاً وِفْقَ المَنهج التحليلي في هذا البحث.

توطئة

بادىء ذي بدء لا بُدَّ لنا من الإشارة إلى الرسومات الصخريَّة، التي رافقت هذه النقوش، فهي تُعدُّ ذاتُ أهميَّةٍ بالغةٍ تعكسُ من خِلالها طبيعة حياة البداوة للقبائل العربيَّة الشماليَّة الصفائيَّة، والثموديَّة، التي قطنت هُناك، لا سيَّما الصفائيون وهم محور هذا البحث، حيثُ تشكلُ هذه الرسومات تصورات عدَّة حول سير الحياة اليوميَّة عند الصفائيين، فعند الحديث عن تلك الملامح نجد العدد القليل من تلك الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع، ناهيك عن عدم إعطائِها أهميَّة لائقة بها، وكذلك الحال، فإنَّ الدراسات السابقة قامت على تحليلِ ودراسةِ تلك النقوش دون تفسير رسوماتِها في أغلب الأحيان.

جاء هذا البحث؛ لبيانَ أنواع هذه الرسوم وهي من منطقة الضويلة، فقد حُللت نقوشُها من قِبل الباحث فجيئت برسالةٍ للحصول على درجة الماجستير معنونة بـ "**دراسة نقوش صفويَّة جديدة من منطقة الضويلة في الباديَّة الأردنيَّة الشماليَّة الشرقيَّة**"، أما رسوماتها فسيتم تحليلها في هذا البحث، وتسليط الضوء على مكنوناتِها، وجمال إتقانها، وبيان أسلوبها.

تم اكتشاف نقوش هذه المنطقة من قبل الأستاذين الأكاديميين في الجامعة الهاشميَّة صيف عام ٢٠١٢، فقد جَمَعَا ما يقاربُ ألفي نقشٍ تقريباً مع رسوماتِها، وتم العودة للمنطقة نفسها صيف عام ٢٠١٥، ففي هذه الرحلة الميدانيَّة كان معهم الباحث بقصد التدريب، والبحث، والتوثيق، والتصوير لنقوش رسالة الماجستير، وتعددت النقوش في هذه المنطقة فمنها اللاتينيَّة، والصفائيَّة، والثموديَّة، والإسلاميَّة المبكرة.

أما بالنسبة لأول من لفت الأنظار على تلك النقوش فكان العالم جراهام (Graham)، أثناء رحلته في جنوب شرقي دمشق عام ١٨٥٧(Graham 1860: 280)، ثم تلت بعد ذلك رحلات أجنبيَّة كان الهدف منها الاستطلاع والاكتشاف، وأخرى التوثيق، والتحليل، ولم يخلو ذلك من إسهامات الباحثين العرب فكان لهم نصيب وافر في التحليل، والاكتشاف، والتوثيق، وبيان قيمتها الاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والدينيَّة.

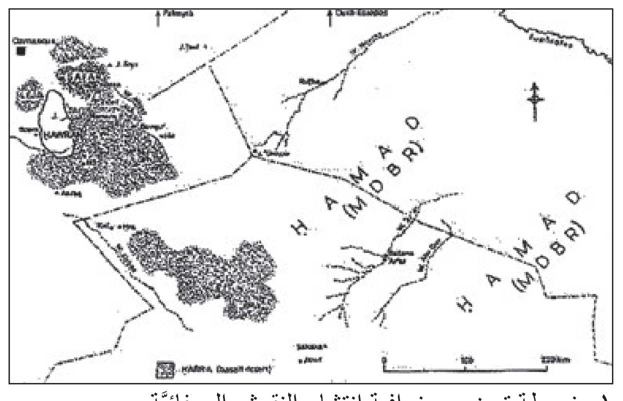
---

١. علي عطالله علي الحاج، دائرة الآثار العامة، مديرية الدراســات، قسم الأبحاث والنشر.

إنَّ العملَ الفني الصفائي -الرسومات- عملاً مُختلفاً تماماً عن الأعمال الفنيَّة الأخرى، إذ يساعد في المفاضلة بين أعمال الفنانين المختلفين في نفس العصر الحضاري، أو في عصور مختلفة، فلكل فنان ذوقه، وابداعه في العمل الفني، فالطابع العام لهذا الفن هو طابع بدائي بسيط، تمثل في رسم البيئة البدويَّة التي تعايش معها، فمثلاً نجده يرسم على حجر بازلتي أسود أصم، باستخدام أداة حجريَّة حادة، وتارةً أخرى نجده يرسم على حجر كلسي، إلا إنَّ أغلب رسوماتهم كانت على الحجارة البركانيَّة ذات اللون الأسود، فهذه الحجارة شكلت لنا لوحات فنيَّة جميلة تعبر عن ذوق الفنان، وحسه الجميل، وتدور فيها أحداث، وأسرار، وخفايا.

ومن بين تلك الرسومات الجميلة، طريقة رسمه للجمال، فأحياناً نجده بسنامين، وأحياناً بسنام واحد، أو نجده إما مفرغاً من الداخل، وإما ممتلئاً، ونرى طريقته في رسم الأحصنة بطريقة جميلة تبين لنا مدى توافقه لشكل الحصان في أيامنا هذه، وغيرها من الأشكال التي هي مدعاة للبحث العميق في كيفية رسم هذه الحيوانات التي تعايشت مع الإنسان الصفائي العربي البدوي، على الرغم من عدم توفر أدوات الرسم بإستثناء الأداة الحجرية الصغيرة المدببة الحادة.

وبشكل عام كانت جغرافية انتشار النقوش مع رسوماتها على مساحات شاسعة شملت منطقة الحَرَّة في الصحراء الشرقيَّة الأردنيَّة على امتدادها ما بين حوران شَمالاً، ووادي السرحان جَنوباً، وأجزاء من غرب العراق، وجنوب سوريَّة، ومناطق مُتفرقة من شَمال المملكة العربيَّة السعوديَّة (Macdonald1993: 303-313) **(الشكل ١)**.



١. خريطة توضح جغرافية انتشار النقوش الصفائيَّة.

ويمتد تأريخ تلك النقوش من النصف الأول قبل الميلاد إلى نهاية القرن الرابع الميلادي، وقد كُتِبَت جميعها بالخط المسند (ديسو ١٩٨٥: ٨٨-٩٠).

جغرافيَّة منطقة الضويلة

تقع منطقة الضويلة على بعد ٦٠ كيلومتراً من شرق منطقة الصفاوي إلى الجنوب من الطريق الرئيسي المؤدي إلى بغداد، ويمكن الوصول إليها أيضاً من خلال طريق غير معبد على بعد ١ كيلومتراً جنوب الطريق الرئيسي، ويصل إرتفاع المناطق الجنوبيَّة منها إلى ٦٤٠ متراً فوق سطح البحر تقريباً.

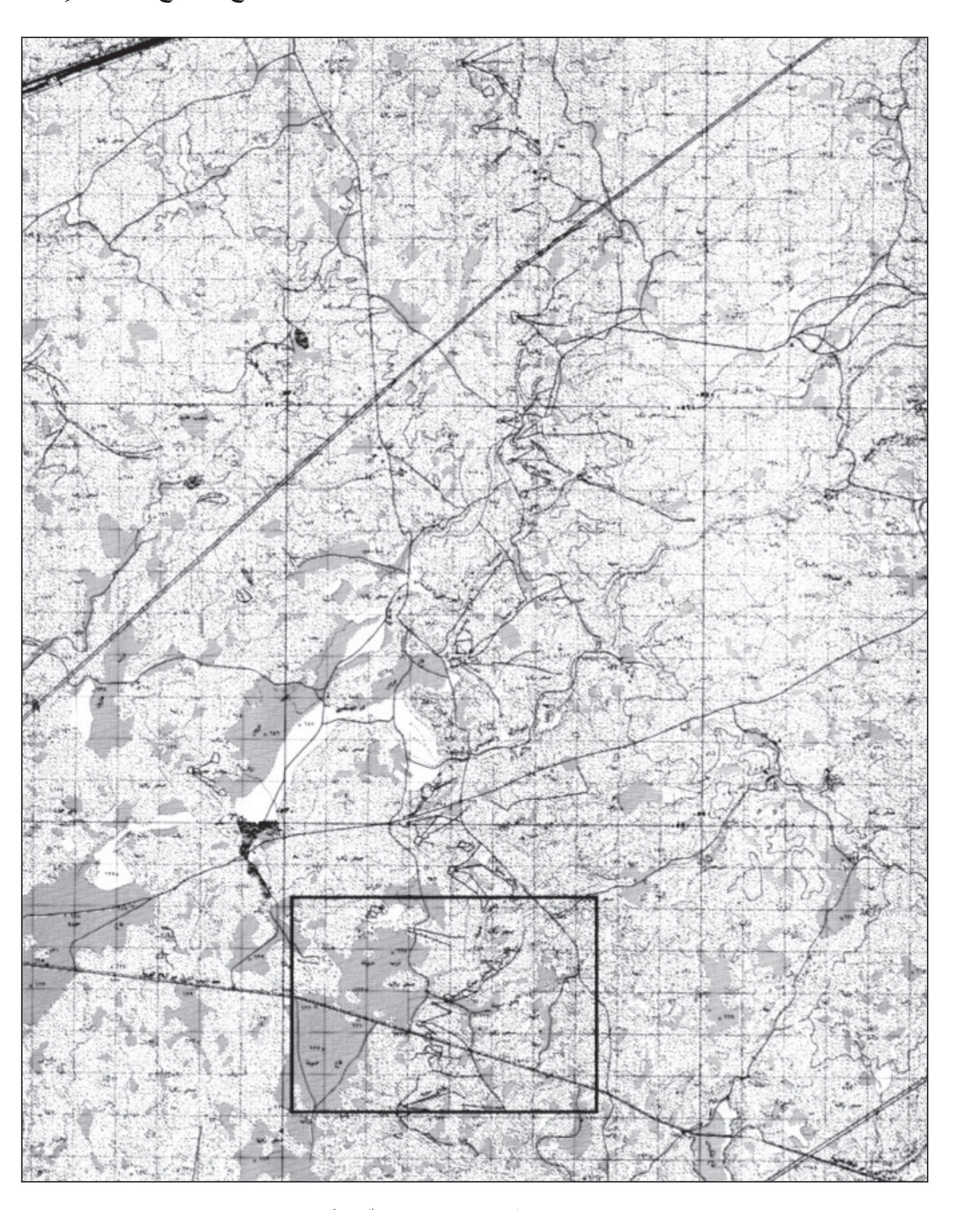
أمَّا الشماليَّة فيصل ارتفاعها إلى ٧٥٠ متراً، وتتألف المِنطقة من عدة مواقع تتكون بعضها من السهول الصحراويَّة والمناطق المرتفعة، ومن هذه المواقع: تلعة الضويلة، وشعب الضويلة، وتليلات الضويلة، وتغطي أشكال البراكين، والحمم البركانيَّة بالإضافة إلى الصخور البازلتيَّة مُعظم المنطقة، وتعترضها عدة وديان، وبحيراتٍ موسميةٍ سمحت بتشكل غطاء نباتي مناسب للرعي. وفي الفترة التي امتدت صيف ٢٠١٢ إلى وقتنا الحاضر جرى الكشف عن عددٍ كبيرٍ من النقوش الصفائيَّة، وُجِدَ أَغلبها على قمم رجوم من الحجارة، أمَّا بقيتها فوجدت في قاع الوادي في تلك المنطقة وعلى جوانبه، وقد شملت هذه النقوش على رسومات صخريَّة كشفت لنا طبيعة حياة القبائل الصفائيَّة (الحاج ٢٠١٥: ٧) **(الشكل ٢)**.

تحليل الرسومات الصخريَّة المرافقة للنقوش

١ - الرسومات الآدميَّة

إنَّ الأشكالَ الآدميَّة التي رافقت النقوش في هذه المِنطقة، لم تتسمْ بتفاصيل جسديَّة واضحة، كملامح الوجه مثلاً، وغيرها من الأشكال الآدميَّة الأخرى الواردة هنا؛ نظراً إلى عدم وجود فكرة مرتبطة بالموضوع هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يكنْ للفنان الصفائي الإهتمام بشكل على حساب آخر، وهكذا، فقد كانت الرسومات الآدميَّة ذات طابع بدائي، تجريدي، مع اختلاف في رسم كل شكل عن الآخر **(الشكل ٣: ٢٥-٣٣)**.

لقد ظَهَرَ رسمُ الرجالَ في هذه الرسومات وهم يحملون الأسلحة مثل التروس، والرماح، والسيوف،



٢. خريطة طبوغرافيَّة تبين لنا منطقة البحث وما حولها.

وكان الهدف من ذلك إمَّا الصيد، أو القتال، إلاّ إنَّ الصفة الغالبة العامَّة هي الصيد (**الشكل ٤: ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠**). فطريقة حمل السلاح كانت بيدٍ واحدةٍ، واليد الأخرى ماسكة للجام الفرس، أو الجمل.

فالأشكال الذكوريَّة والأنثويَّة في الرسومات الصفائيَّة بشكل عام تختلف من حيث العدد، إذْ إنَّ النصيب الأكبر كانت للأشكال الذكوريَّة على العكس تماماً في الأشكال الأنثويَّة، أمَّا في هذه النقوش فيُلاحظ إنَّ الرسومات الحيوانيَّة كان لها الحيز الكبير من مجموع تلك الرسومات.

لم تكنْ رسوم الحيوانات مفردة، وإنَّما رافقها رسومات آدميَّة؛ لتكتملَ اللوحة الفنية مَعْناً ومضموناً، فمثلاً عندما نجد ملامح فنيَّة مثلت مشهد من المشاهد الحياة اليوميَّة، ولتكن مشهد صيد، نجد الفنان قد رسم هذه الأشكال بصورة عريضة يخرج منها خطوط تمثل الأرجل واليدين، ونلاحظ أيضاً وجود سمات عامَّة نرى من خلالها أن رفع اليدين للإنسان في الرسومات الصفائيَّة كانت بقصد الدعاء، ونجزم هذا القول من خلال النقش المرافق لهذه الرسمة التي خطها الفنان، ومن جهة أخرى نرى عدد من السمات منها: أن نجد أيدي الإنسان بدون أطراف، أو نجد الرأس قد رسم بطريقة دائريَّة، أو شبه دائريَّة، إذاً؛ ومن هذا المُنطلق نستنتج أن الفنان الصفائي لم يكنْ لديه تلك المهارات التي نلاحظها في عصور تاريخيَّة سابقة، فقد كانت قدراته محدودة ولكن بنفس الوقت كانت مُتقنة، بمعنى أَنه قد رسم، وأتقن، وفكر دون إظهارٍ لتفاصيل الوجه،

والجسد الإنساني، فلم نجد مكان العينين، والأذنين، والفم ونحو ذلك، وإن اجتهد في رسم الشَّعْرِ فنلاحظ شكله بطريقة خطوط مستقيمة، أو متعرجة.

٢- *الرسومات الحيوانيَّة*

أ- الجمل

تعددت الرسومات الحيوانيَّة في هذه النقوش فمنها: الجمال، والأحصنة، والأغنام، والغزال، والثور، والنعام، وغيرها، إلاّ إنَّ الجمالَ كانت لها مكانة خاصة في نفوس الصفائيين؛ نظراً لأهميتها عند المجتمع الصفائي في عملية الحِلِّ، والترحال، والإستخدام اليومي لها، وفوائدها الجمَّة، ناهيك عن صعوبة المنطقة، فالجمال سريع التكيف في هذه الظروف القاسيَّة، لا سيما الباديَّة الصحراويَّة ذات الحجارة السوداء المُلتهبة عند توسط الشمس في السماء، فلم يطلق عليه اسم سفينة الصحراء من عبث، فاستفادت القبائل الصفائيَّة من تلك الجمال استفادةً عظيمةً، فأنتجوا حليبها، ولحومها، وفي عملية النقل والتجارة.

جاء اهتمام العرب بالجمال منذ القدم فأطلق عليها مسميات عدة تِبعاً لنسبها، ولونها، ونوعها، وقبل التطرق عن الحديث عما ذُكِر، فيجب معرفة معناها لُغوياً كما جاءت في المعاجم العربيَّة، لقد جاء معناها عند ابن منظور صاحب لسان العرب بـ الجمل: هي الذَّكر من الإبل، وأجمال، وجمالات، وجمائل، والجمالة هم أصحاب الجمال، وقيل: إنَّما يكون جَمَلاً إذا أَرْبَعَ، وقيل: إذا أجدع، وقيل: إذا بزَل، وقيل: إذا أثْنَى، قال:

"نحن بنو ضَبَّه أصحاب الجَمَل الموت أحلى عندنا من العسل" (ابن منظور ٢٠٠٠: ٢٠٠-٢٠٢).

وفي المعجم الوسيط جاءت بالكبير من الإبل من الفصيلة الإبلية، من رتبة الحافِريّات المجترة، ومنه ما هو ذو سنامين (إبراهيم وآخرون ١٩٦٠: ١٧٦-١٧٧).

ووردت عند الرازي صاحب معجم مختار الصحاح بـ الجمل من الإبل الذَّكَر، والجمع جِمَال، وأَجْمَال، وجِمالات، وجَمَائل، وقال ابن السّكّيت: يُقال للإبل الكُور خاصة جِمَالة، وقُرِىءَ "كأنه جِمَالَه صُفْر"، والجَمّاله أصحاب الجمال كالخيَّالة والحمّاره (الرازي ١٩٢٥: ١١١).

وذكرها الزبيدي صاحب معجم تاج العروس في جواهر القاموس، قلت: وهي لغة صحيحة وبه قرأ أبو السمال حتى يلج الجمل بسكون الميم: وهو ذكر الإبل، وقال أبو الفراء: زوج الناقة، وقال شمر البكر: والبكرة بمنزلة الغلام والجارية، والجمل والناقة بمنزلة الرجل والمرأة (الزبيدي ١٩٦٥: ٢٦٢).

أمَّا أسمائها فقد تعددت فمنها: الداعرية، والأصهب، والنظارية، وبحتر (الأصمعي ٢٠٠٣: ١٢٥-١٢٨)، وفي النقوش الصفائيَّة ورد الجمل بعدة صيغ منها (هـ ب ك ر ت)، وتعني الناقة الصغيرة (Oxtoby 1968:40)، وصيغة أخرى وهي (هـ ج م ل)، وتعني الجمل (Winnett and Harding 1978: 370, 516).

اختلفت رسومات الجمال في نقوش هذا البحث، فلم تظهر جمال ذو سنامين، بل كانت جميعها بسنام واحد، وذات أعناق طويلة، مع وجود انحناءات بسيطة في قممها، وما يميز الجمال هو ظهور حجمها الضخم بالإضافة إلى ظهور خطوط واضحة عند نهاية أجسامها، وبعضها الآخر ظهر بخطوط رفيعة تكاد تخلو من وجود انحناءات في النهايات، أما السنام فقد ركز عليه الفنان الصفائي بصورة رئيسيَّة، فنلاحظ تناسقة بالنسبة لحجم الجمل هذا من جهة، ومن جهة أخرى نرى عدم التناسق أي وجود مبالغة في رسم حجمه، ومن الملاحظ أيضاً عدم توفر البعد الثلاثي للرسم، فنجد الطرف الأمامي أو الخلفي فقط، ودائماً ما نرى الجمل في هذه الرسومات واقفاً، وذيله يكون بشكل ملتوٍ، أو شبه دائري للأسفل، أو للأعلى، وكذلك الأمر بالنسبة للرسومات الجمال نلاحظها مفرغة من الداخل، وأحياناً ممتلئة، كأنَّ الفنان الصفائي يريد منَّا أن يُبين لنا إبداعه، وإتقانه، واستخدم الألوان بطريقة بسيطة جداً، أو أراد أن يوضح لنا نوع تلك الجمال من خلال تفريغها، أو امتلائها من الداخل بواسطة أداة حجرية دقيقة جداً دون أن يفسد الشكل، وبطريقة جميلة، تعكس لنا مدى مهارة هذا الفنان العربي البدوي **(الشكل ٥: ١-١٥)**.

إنَّ بعض الحجارة البازلتيَّة التي وجدت عليها هذه الرسومات، قد احتوى الحجر الواحد منها على جمل أو مجموعة من الجمال، حملت بعضها مشاهد مثلت

بعملية إرضاع لجمل وفصيلها، فقد رسمت رقبة الناقة بشكل طويل، ومنحني، وكانت الأرجل بشكل منفرد، أما الذنب فهو منحني مرفوع للأعلى، ويبدو فصيلها صغير الحجم، ورقبته على هيئة خط عريض يتصل بالناقة **(الشكل٥: ١٠)**.

وظهرت في بعض هذه الرسومات ناقتان، وجدت على الناقة الأولى شعيرات ظهرت على السنام، وجاء الذنب بخطوط طويلة واضحة، بينما الناقة الثانيَّة فقد ظهرت الشعيرات على السنام بخطوط قصيرة، مما يدل ذلك على الخير الذي تتمتع به الناقتان، أو ربما دَلَّ ذلك على حلول فصل الربيع؛ لكثرة الوبر الذي ظهر عليهما أيْ: الشعيرات **(الشكل ٥: ٨)**.

ب- الخيل

عُرِفَت الخيل قديماً، حيث تعد في المرتبة الثانيَّة في الرسومات بعد الإبل، وانتشرت رسوماتها بكثرة، ولقد وردت للخيل معانٍ لغويَّةٍ جَمَّة في العديد من المَعاجم العربيَّة فعند الرازي جاءت بمعنى الفرسان، ومنه قوله تعالى ''وأجْلِبْ عليهم بِخيْلك ورَجِلِك''، أيْ: بفرسانك وَرَجَّاتِك، والخيل أيضاً الخيول، ومنه قوله تعالى ''والإبل والبِغَال والحَمِير لِتَرْكبُوها''، والخيّالة هم أصحاب الخيول (الرازي ١٩٢٥: ١٩٥)، ووردت عند الزبيدي فقال: الخيلُ في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعاً مستشهداً بقوله تعالى ''ومن رباط الخيل''، ويستعمل في كل منهما مفرداً (الزبيدي ١٩٦٥: ٣١٥).

وللخيول العربيَّة أسماء عدة منها: الوَرْدُ، واللطيم، ومَصَاد، والأَجْدل، واليعسوب، وشِادِق، ورزّة، والدُّهم، والجَازِيَات، والمُرْتجز، والسّكب، واللحيّف، والظلّيم، وظَبْيَة، والشيّط، والحشّاء، وحَزْمَة وغيرها الكثير من الأسماء العربيَّة الصَّرفة (بشر ٢٠١٢: ٥٥-٥٧؛ ابن الكلبي ١٩٨٥: ٤٤-٥٣).

ومن ألوانها: الأشْهَب، والأحوى، والكُميت، والأبرش، والأشْهَم، والشُقرة، والعُفْرى (السيوطي ٢٠٠٩: ٥٨-٦٧).

ووردت صيغ الخيل في النقوش الصفائيَّة بكلمات مختلفة منها (هـ ف ر س)، وتعني الفرس (Winnett 1957: 43)، وكلمة (ف ر س)، وتعني الفرس (Winnett and Harding 1978: 438)، وكلمة (هـ ف ر س ت)، وتعني الفرسة (Clark 1979: 367).

جاءت رسومات الخيل في هذا البحث على النحو الآتي:

١- رَسَمَ الفنانُ الصفائي لفارس يمتطي فرس وبيده رمحاً، ورسم الفارس بطريقةٍ بسيطةٍ، ورأسه دائري الشكل دون وجود ملامح تبرز عيناه، وأنفه، وأذناه، وبقية الملامح، وجاء رسم الفرس كذلك دون أذنان، وأطرافه كانت عاديَّة مع عدم ملاحظة أي تفاصيل دقيقة أخرى، أمَّا ذنبه فجاء رفيعاً وعليه شعيرات على طوله **(الشكل ٤: ٣٥)**.

٢- رَسَمَ الفنانُ الصفائي فرسان يمتطون أحصنة وبأيديهم أرمحه، فقد مثلت هذه اللوحة مشهد صيد، ربما أنهم يصطادون خِرافاً، أو ماعِزاً، جاءت أشكال الفرسان عبارة عن خطوط، أما رأسهم فكان دائري الشكل تقريباً، وأذيلة الأحصنة جاءت على شكل خطوط **(الشكل ٤: ٤٠)**.

٣- رَسَمَ الفنانُ الصفائي لفرس دون فارسه، فجاء الفرس على شكل خطوط متصلة مع بعضها البعض، مع ظهور رأسه دون تفاصيل كافية، والشيء المميز في هذه الرسمة هو أن ذنبه جاء على شكل ثلاثة شعب رسمها الفنان على طريقة الخيوط المستقيمة والمتقاربة **(الشكل ٤: ٣٦)**.

٤- رَسَمَ الفنانُ الصفائي فارس يمتطي حصان وبيده سيف وهو في حالة وقوف، أمَّا يده اليسرى فقد كانت حاملة للجام بقصد التوجيه، ويبدو من هذا المشهد حالة قتال أو غزو. لقد ظهر الفرس بسرج على ظهره، وكان ذنبه معكوفاً باتجاه الأعلى، وظهرت أرجل الحصان الأمامية بخط مستقيم وكانت طويلة، أما الأرجل الخلفية فقد ظهرت معكوفة أي أنها بحالة استعداد للمواجهة والقتال **(الشكل ٤: ٣٤)**.

ج- النعام

كان لرسم النعام نصيب وافر من رسومات الصفائيين، ففي نقوشهم ورد بصيغ عدة منها (هـ ن ع م ت)، وتعني النعامة (CIS 1950: 4627)، وبصيغة أخرى (هـ ن ع م ت ن)، وتعني النعامتان (Winnett and Harding 1978: 767)، لقد رسم الفنان الصفائي

في هذه الرسومات مجموعة من النعامات، ورسم جسدها بشكل دائري يخرج منها خطين إلى الأسفل ليمثلا الأرجل، وخط طويل للأعلى ليمثل الرقبة والرأس **(الشكل ٦: ٥٠).**

د- الثور

ورد ذكر الثور في النقوش الصفائيَّة بصيغة (هـ ث ر)، (الحاج ٢٠١٥: ٣٢)، فقام الفنان برسمه بطريقة بدائيَّة، فقد خَطَّ الجسد بأربعة خطوط صغيرة داخليَّة، وظهرت أرجله الأربعة على شكل خطوط مستقيمة عريضة بعض الشيء، وعلا رأسه قرنان طويلان متشابكان في نهايتهما وكأنه تاج، وخلا وجهه من تفاصيل، أما ذنبه فكان عريضٌ وقصيرٌ **(الشكل ٦: ٤٤).**

هـ- البغل

جاء رسم البغل في هذا الشكل بخطوط عريضة وبسيطة، وظهر جسده طويلاً، وتخرج منه الرقبة نحو الأمام، وجاءت الآذان بطريقة غريبة تبدو وكأنها عريضة، وفمه عريض مستطيل الشكل **(الشكل ٦: ٤٩).**

و- الغزال

إنّ كثرة رسومات الغزلان في المجتمع الصفائي لها دلائل عدة منها: مصدراً للغذاء، والاستفادة من جلده وغيرها من الفوائد الكثيرة، فلقد ظهرت في هذه اللوحة مجموعة من الغزلان، أبدع الفنان في رسمها، وما يميزها هو طول قرونها في بعضها، وقصرها في بعضها الآخر، وجاءت الغزلان بخطوط عريضة، حيث ظهر جسمها ممتلئ، وأرجلها اتخذت الشكل الرفيع والطويل **(الشكل ٦: ٤٥، ٥١).**

ز- الأغنام، والضأن والماعز

ظهرت هذه الأشكال بطريقة كبيرة في الرسومات الصفائيَّة؛ كونها مصدراً رئيسيَّاً في الغذاء، والاستفادة من صوفها، وجلودها، وحليبها، ولبنها، وغيرها من الفوائد التي لا تعد ولا تحصى لهذه الحيوانات، فالناظر لهذه الرسومات يجدُ أَنَّ الفنان قد أتقن رسمها، فظهرت لوحة جميلة أبرزت مجموعة من الأغنام حملت جميعها قرون صغيرة، وهي صفة عرفت في المناطق الجبليَّة فقط، جاء رسمها في هذه اللوحة عبارة عن خطوط بسيطة، مع وجود جسد ممتلئ، وأرجل عريضة، وأذناب قصيرة جداً **(الشكل ٦: ٤٣).**

الأشكال الرمزية

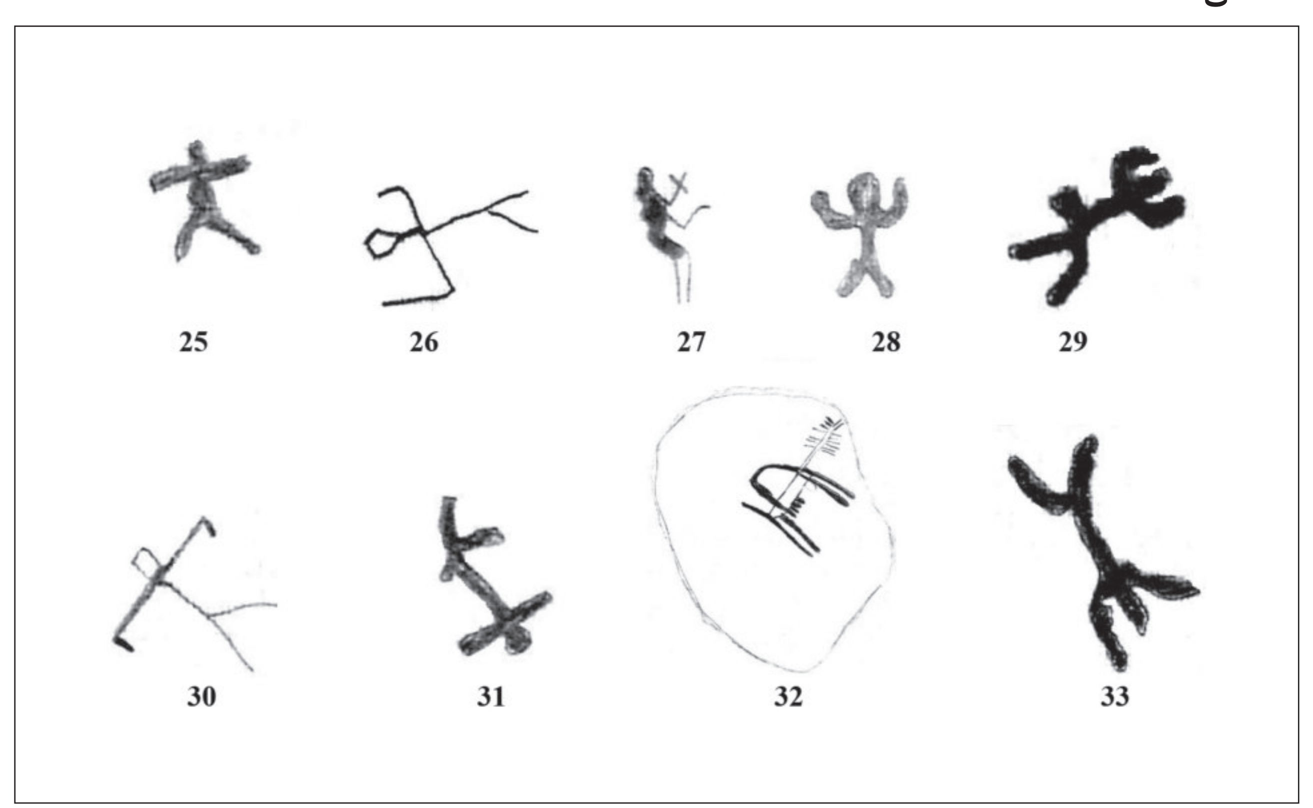
ظهرت العديد من هذه الإشكال في رسومات البحث منها: النقاط السبع، وقرص الشمس الذي يخرج منه خطوط طولية، والخطوط السبع الطوليَّة، والعريضة، والدوائر السبع، والتي ما زالت بحاجة إلى الكثير من التفسير؛ نظراً لعدم وجود نقوش تفسر هذه الرموز، وعدم القدرة على ربط هذه الأشكال بالعلامات السحريَّة، أو الرموز الدينيَّة، إلاّ أن بعض النقوش أظهرت مفردات تطلب من الإله حمايتها من الاندثار أو الخراب، أو العبث بها من قبل الأشخاص، ولكن هل لهذه الرموز علاقة بعلم الفلك والنجوم عند هذا المجتمع العربي؟ أو أنها حسابات فلكية لديهم؟ إنّ المرجح من تلك العلامات أنها حملت الطابع الديني؛ بدلالة وجودها بجانب النقوش باتجاهاتها المختلفة، وأن اللفظ الدال من خلال ترجمتها هي الاستغاثة، والحماية، وطلب المساعدة **(الشكل ٧: ١٦-٢٤).**

الخاتمة

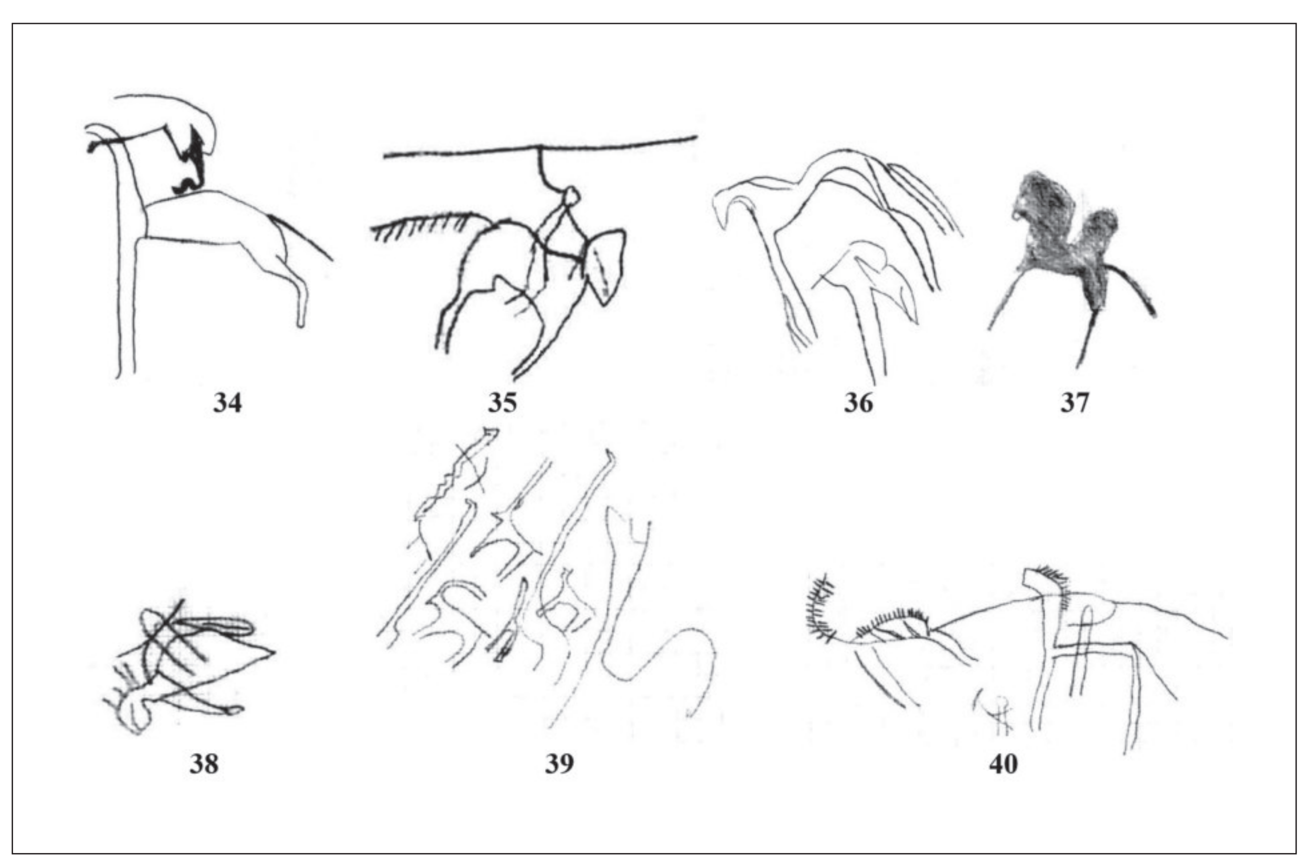
تعكس هذه الرسومات من موقع منطقة الضويلة اختلافات في الرسم من حيث التنفيذ، والأساليب، وهو ما يعكس ثقافة مُنفذيها، ويمكن القول بأَنَّ الصفائيين الذين عاشوا في هذه المنطقة قد تأثروا بغيرهم من القبائل المجاورة لهم، بينما تجسدت رسوماتهم بعمليات صيدٍ، وقتالٍ، ورعي، فكان أسلوبهم بسيط، وواضح، وبدائي، انعكس ذلك على عمق الحياة اليوميَّة وتفاعلهم معها من كونهم أناس كان الطابع البدوي هو مُشَكِّلَهَم، ولم يخرجوا من هذا النطاق.

علي الحاج
دائرة الآثار العامة
مديرية الدراسات والنشر
ali_alhajj9078@yahoo.com

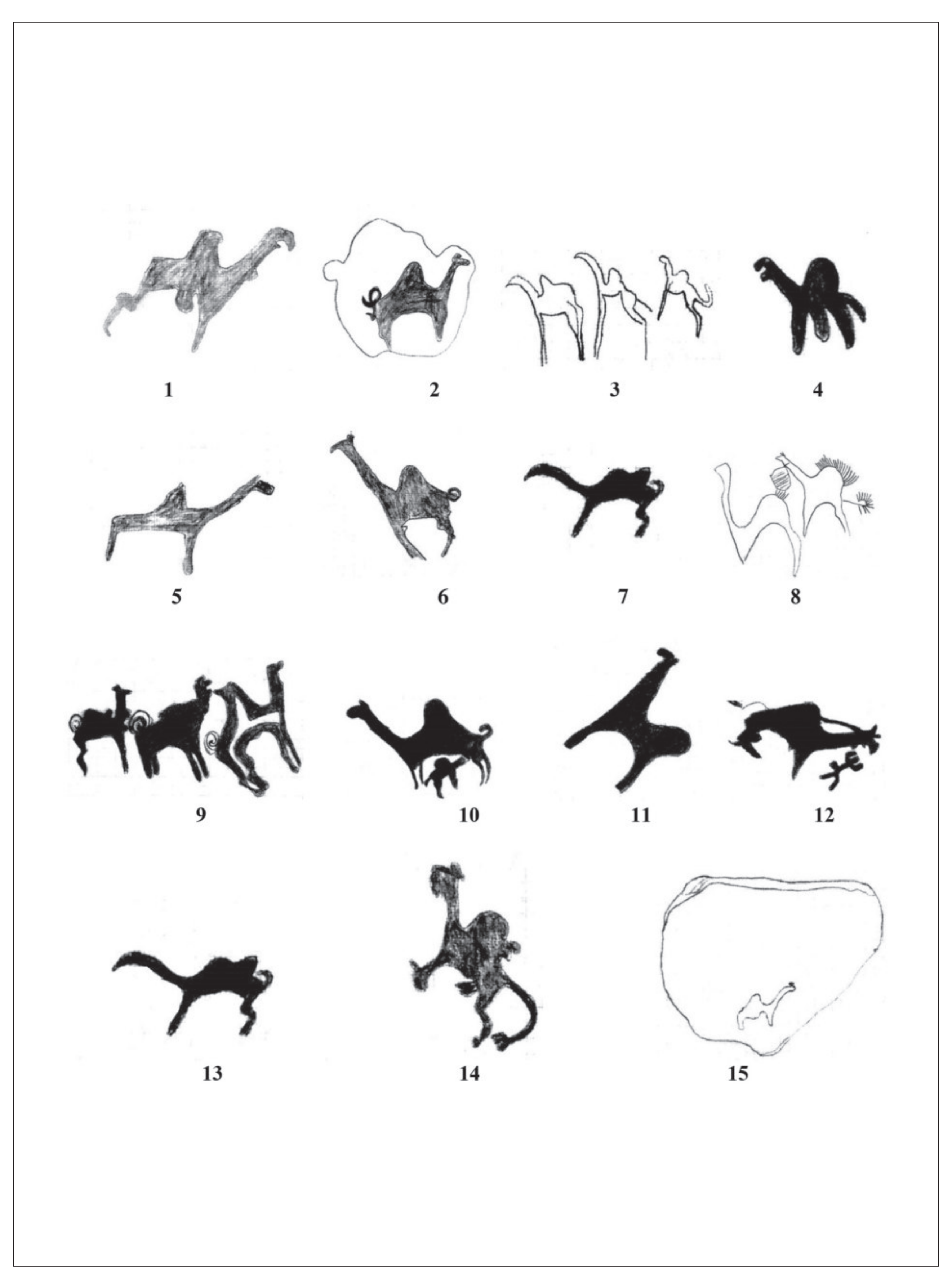
الملاحق



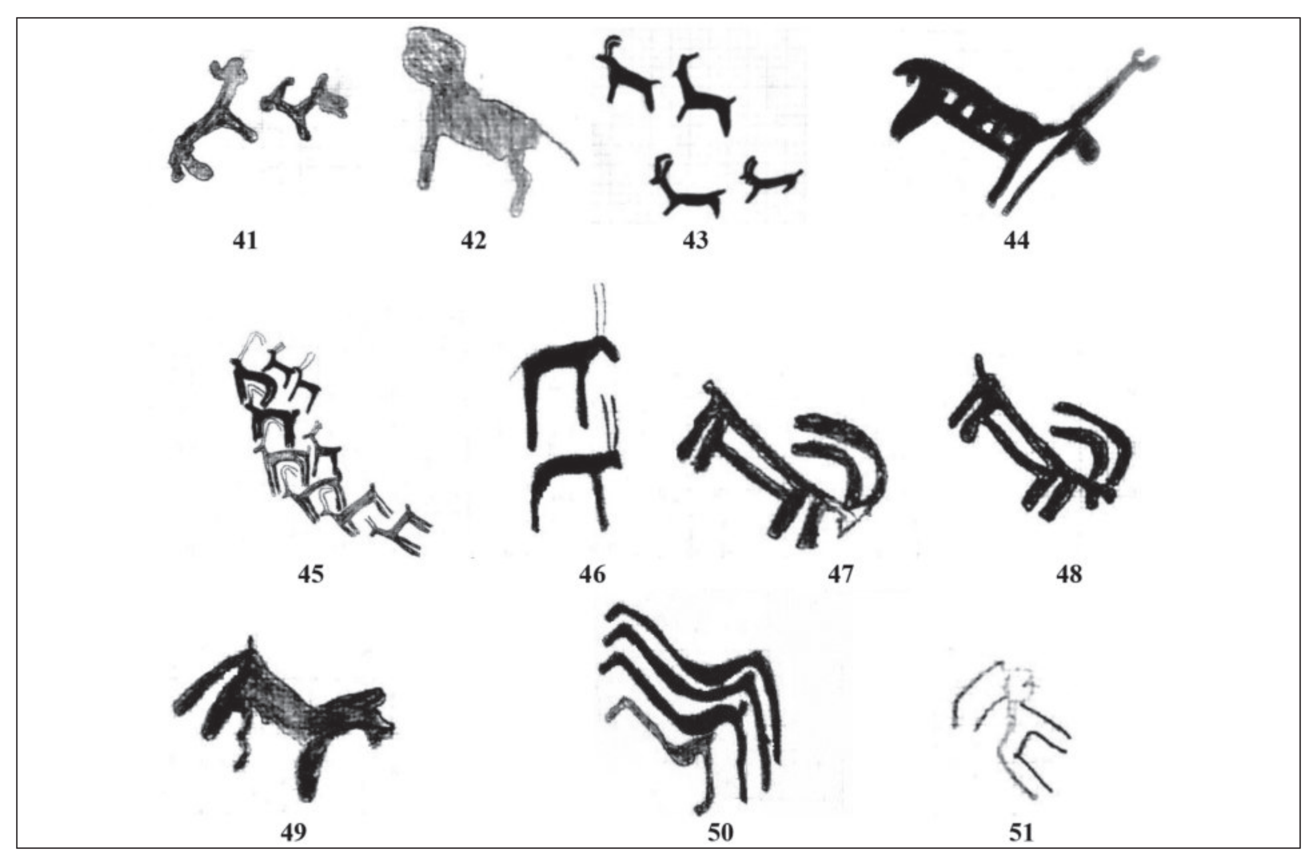
٣. الأشكال الآدمية.



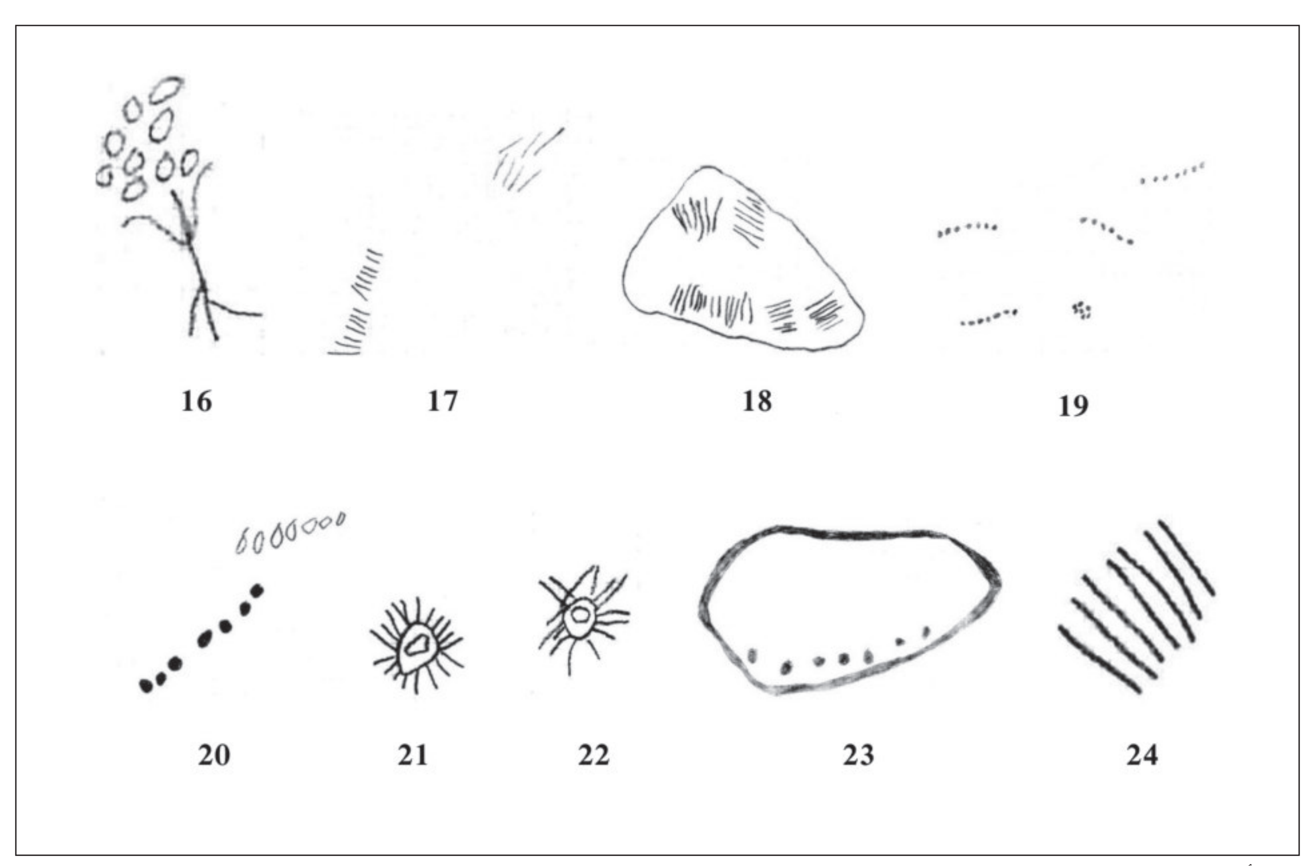
٤. الخيول.



٥. الجمال.



٦. الأشكال الحيوانية.



٧. الأشكال الرمزية.

قائمة المصادر والمراجع

بشر، عثمان بن عبد الله (ت١٢٩٠ هـ)
٢٠١٢ **سهيل فيما جاء في ذكر الخيل.** تحقيق عبد الله بن عبد الرحيم، الرياض-السعودية: دارة الملك عبد العزيز.

ديسو، رنيه
١٩٥٩ **العرب في سوريا قبل الإسلام.** ترجمه عبد الحميد الدواخلي، وراجعه محمد مصطفى زيادة، القاهرة-مصر: لجنة التأليف والترجمة والنشر.

الزبيدي، محمد مرتضى
١٩٦٥ **تاج العروس في جواهر القاموس.** ط ١، تحقيق عبد الستار أحمد، بيروت-لبنان: منشورات دار مكتبة الحياة.

الحاج، علي
٢٠١٥ **دراسة نقوش صفوية جديدة من منطقة الضويلة في الباديَّة الأردنيَّة الشماليَّة الشرقيَّة.** رسالة ماجستير غير منشورة، الزرقاء-الأردن: الجامعة الهاشميَّة.

ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٦ هـ)، رواية أبي منصور الجواليقي (ت ٥٤٠ هـ)
١٩٨٥ **نسب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها.** تحقيق الدكتور نوري حمود القيسي، والدكتور حاتم صالح الضامن، بغداد-العراق: مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري
٢٠٠٣ **لسان العرب**. ط ٣، بيروت-لبنان: دار صادر.

مصطفى، إبراهيم وآخرون
١٩٦٠ **معجم الوسيط.** ط ٢، القاهرة-مصر: مجمع اللغة العربية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري (ت٩١١ هـ)
٢٠٠٩ **جر الذيل في علم الخيل.** ط ٢، تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دمشق-سورية: دار البشائر.

العيدورس، حسين
٢٠٠٩ فن الرسوم الصخرية: مواقع أثرية جديدة من اليمن. **مجلة النقوش والرسوم الصخرية** ٣: ٥-١٥.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قُريب (ت٢١٦ هـ)
٢٠٠٣ **كتاب الإبل.** تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دمشق- سورية: دار البشائر.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر
١٩٢٥ **مختار الصحاح.** القاهرة-مصر: المطبعة الأميرية بالقاهرة.

خان، مجيد
١٩٩٣ **الرسومات الصخرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية.** أطروحة دكتوراه منشورة، الرياض- السعودية: مطبوعات وزارة المعارف.

الخريشة، فواز
٢٠٠٧ الصيد عند العرب الصفائيين. **مجلة النقوش والرسوم الصخرية** ١: ٩-٢٧.

Harding, G.L. and Winnett, F.
1978 *Inscriptions from Fifty Safaitic Cairns.* London: Toronto Buffalo.

Clark, K,V.
1979 *A Study of New Safaitic Inscriptions from Jordan.* Australia: University Melbournel.

Graham, C.
1860 On the Inscriptions Found in the Region of el-Hârrah in the Great Desert south-east of the Hauran *Journal of the Royal Astatic Society* 17:280.

Macdonald, M.
1993 Nomads and Hauran in the late Heleninstic and Roman Periods: A Reassessinent of Egigraphic Evidence *SYRIA* 7: 303-413.

Oxtoby, W.
1968 *Some Inscriptions of Safaitic Bedouin:* New Haven.

Winnett,F.
1957 *Safaitic Inscriptions From Jordan*. Toronto: Near East Studies.

CIS V
1950 Corpus Inscriptionum. Saracenicas Continens Safaitcae: Pars Quinta.

كل الطرق تؤدي إلى مكّة: سيراً على الأقدام، على ظهور الجمال أو عن طريق الآلة البخاريّة، درب الحج الشامي (بين القرن ٧ والقرن ٢٠) قراءة جديدة بالاعتماد على تطبيقات نظم المعلومات الجغرافية الجزء الثاني

كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس

Abstract:

Literary, archaeological and cartographic data were collated to reconstruct the Ottoman Darb al-Hajj al-Shami (16th-early 20th centuries), probably planned by Sinan, the famous architect of Sultan Suleiman the Magnificent, as well as the Hijaz Railway. Examination of the relationship between the Mediaeval Route (described in Part I of this article, in ADAJ 58, 2016: 85-112), the Ottoman Route and the Hijaz Railway, and landscape elements (altitude, slope, relief, orientation, distance to hydrographic network, springs), while also taking into account visibility, security, climate and obstacles on the terrain, enabled us to define environmental parameters, which were integrated into GIS analyses. These proved how the Umayyad to Mamluk route adaped to the changing terrain, whilst the Ottoman route was an artificial creation that moulded the environment according to a global project of civil engineering.

المصادر التاريخية

ذكرت لنا بعض المصادر التاريخية ولا سيما العربية منها التي تعود إلى فترة ما بعد الحكم العثماني العديد من المقتطفات المتعلقة بدرب الحج الشامي، ولعل أهمها: كتاب منزل الحج من الشام إلى مكة، والذي يعود إلى فترة ١٥٦٢-١٥٦٣، حيث يحتوي على مخطوطتين باللغة التركية وهي عبارة عن ترجمة عن اللغة العربية تم الاحتفاظ بهما في المدينة المنورة، يحتوي هذا المصدر على دراسة مفصلة عن أسماء الأماكن كما يتضمن وصفا دقيقاً حول مراحل درب الحج الشامي. (Jasir, al- 1969: 174; Bilge 1979: 213).

قام أولياً جلبي بزيارة العديد من المناطق منذ التحاقه بالبلاط السلطاني ولمدة أربعين عاماً داخل الدولة العثمانية وخارجها، خاصة منطقة البلقان، شمال افريقيا، الشرق الأوسط وكذلك السعودية، حيث وصفها وصفاً دقيقا من خلال مؤلفه الذي يتكون من ١٠ أجزاء (السياحتنامه)، وذُكر أن والده قام بتصنيع



١. حجاج في طريقهم إلى مكّة، لوحة زيتية، ١٨٦١، ١٦١ سم/٢٤٢سم، صورة هيرفي ليفاندوفسكي (© متحف دورسيه، باريس).

مزراب الكعبة المشرفة من الذهب، وقد التحق بقافلة الحج الشامي متوجها إلى الحجاز سنة ١٦٧٢ م، وترك لنا معلومات دقيقة عن محطات الحج، المباني، وكذلك الحجاج وأحاديثهم (Seyhatnâme IX, von Hammer 1846 ed).

وذكر لنا مرتضى بن علوان وهو رحالة صوفي من دمشق في كتابه عن رحلته التي قضاها في الطريق إلى مكة المكرمة في مناسبتين: ١٦٧٧-١٦٧٨ وكذلك سنة ١٧٠٩، وفي طريق عودته من مكّة إلى المدينة، تعرض مع بقية رفاقه إلى نهب بدو من بني هذيل، حيث تركوه في العراء ليلاً في الصحراء (Haarman 1979: 250).

يعتبر المؤلّف محمد أديب (فقيه وقاضي عثماني عاش في جزيرة كريت وسافر من القسطنطينية إلى مكّة سنة ١٧٧٩ ميلادي) من أدق المصادر التي تحدّثت عن الخانات والفنادق والمباني التي عرفت بنشاطها التجاري بسبب موقعها الهام على طريق قوافل الحج والتجارة (Bianchi 1825 éd. ; Petersen 2012: 5-6).

وباعتبار تحريم دخول غير المسلمين مكة والمدينة، فقد انضم الرحالة السويسري يوهان بركهارت لودفيج ١٧٨٤ – ١٨١٧ ميلادي إلى قافلة متجهة إلى مكة تحت اسم مستعار: إبراهيم بن عبدالله: حيث وصفها ووصف عادات أهلها وتجارتها، وهو الذي أرسلته الجمعية الأفريقية من بريطانيا، لكشف مجاهل أفريقية، وقد أمضى سنوات في سوريا، ولبنان، والأردن، وفلسطين، ومصر، والسودان.

سلك بركهارت طريق الحج السوري الأردني من دمشق إلى معان، ووصف المناظر الطبيعية والمراحل في الملحق الثالث من عمله والذي صدر بعد وفاته (Travels in Syria and the Holy Land 1822)

وأقام الرحالة بركهارت في مكة والمدينة المنورة من تموز ١٨١٤ إلى حزيران ١٨١٥ فقد وصل اليها عن طريق مصر والبحر الأحمر ونزل في جدة.

كذلك، فإن من أهم كتب أدب الرحلات والسفر التي تحدثت عن مسألة درب الحج الشامي، يمكن ذكر كتاب الشاعر والرحالة الإنجليزي تشارلز داوتي، والذي كان شغوفاً بالآثار النبطية، مثل مدائن صالح: المدينة الأثرية في شمالي الحجاز، ولمشاهدتها انضم إلى قافلة للحج من دمشق إلى مدائن صالح، حيث قام بتوثيق النقوش الأثرية والتي طبعت لاحقاً في منشورات اكاديمية المخطوطات وفنون الأدب بفرنسا وقد ترجمها ارنست رينان ١٨٩١ إلى اللغة الفرنسية (Charles Doughty 1926 1843-).

وبدلاً من العودة إلى دمشق مع قافلة الحج، توغل داوتي في الصحراء الكبرى في الجزيرة العربية (خيبر والطائف وجده) ليعود إلى بريطانيا بحراً إنطلاقاً من جدة.

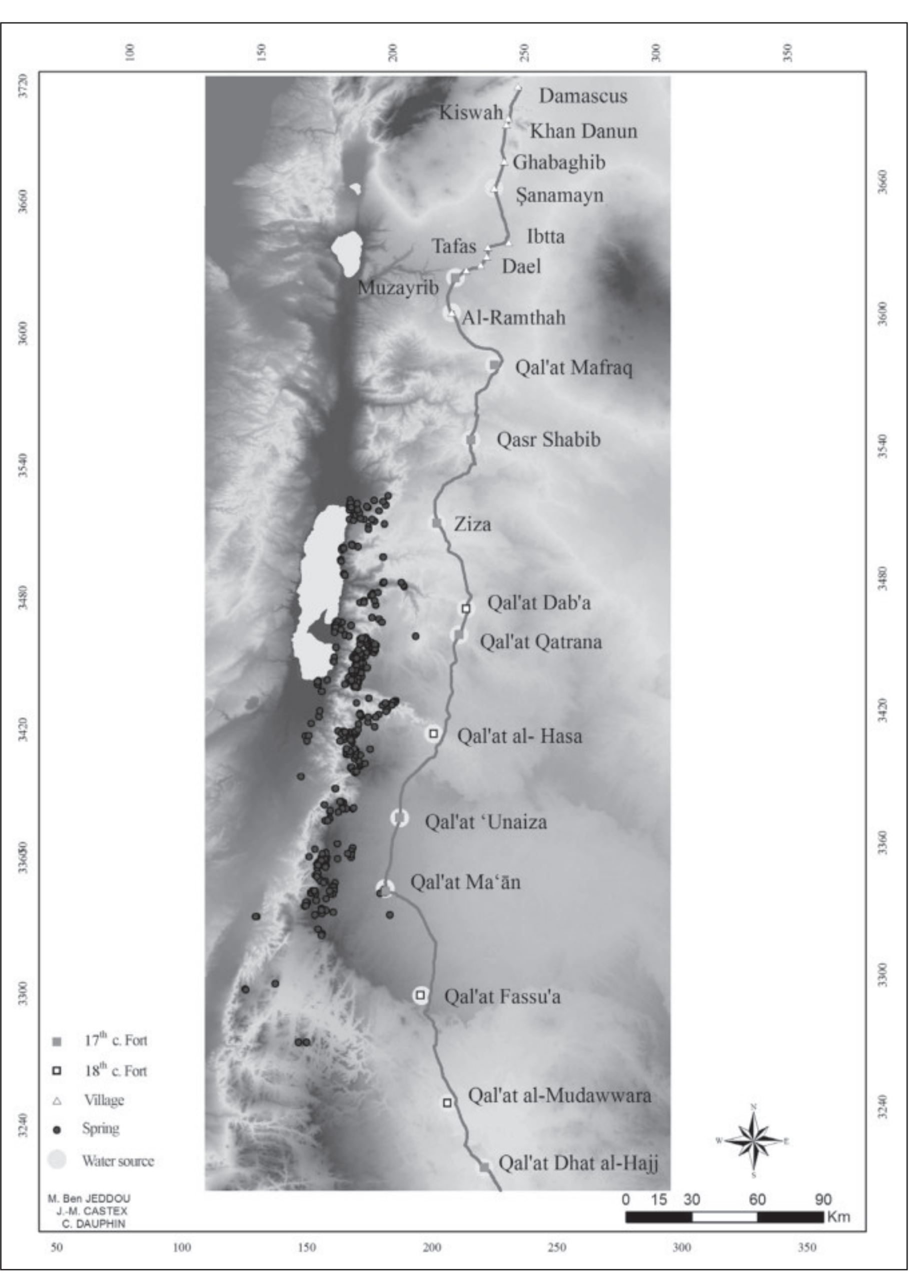
لم يكن داوتي يخفي ديانته المسيحية، وقد جاء في البداية مدعياً أنه طبيب شامي يحمل اسم (الشيخ خليل)، كما كان مصحوبا بخرائط ورسومات المباني وبعض النباتات، وقد التقى أبرز مشايخ البادية في ذلك الوقت ودوّن عن حياتهم الكثير، وسجّل من خلال روايته معلومات كثيرة عن الحياة الإقتصادية، والاجتماعية، والبيئية والجغرافية للحجاز وخاصة طبيعة العلاقة بين السكان والسلطة العثمانيّة (Doughty 1888, re-ed. 1979; 1931).

المسار العثماني لدرب الحج (الشكل ٢)

خلال العهد العثماني، لم يكن الراغبون في الحج بمدينة دمشق ينتظرون بالمسجد الأموي حتى موعد إنطلاق القافلة، بل كانوا يقيمون بالتكيّة السليمانيّة، وهي مكان استعمله المولويون لإعاشة الدراويش (المريدين المولويين) والإقامة والاستراحة للحجاج القاصدين مكّة.

وصمّم المعماري التركي "سنان باشا" (١٥٦٦-١٥٥٤) التكية وسميت نسبة إلى السلطان سليمان القانوني الذي أمر ببنائها (١٥٦٦-١٤٩٤)، وهي محاطة بسور له ثلاثة أبواب رئيسية، يحتوي على صحن سماوي فيه بركة ونافورة، وفي الجهة الجنوبية من المبنى نجد المسجد، في حين يتألّف القسم الشمالي من المبنى من ٢٢ غرفة لتوفير احتياجات الحجاج، وقد تم إضافة مدرسة وأراستا (صف من المحلات المتخصصة) في وقت لاحق (Goodwin 1978; 1987: 255-257).

حظيت دمشق بمباني هامة على الطريق السلطاني خلال القرن السادس عشر (وخاصة المبنى الديني الذي اقامه سنان باشا بين ١٥٨٦ - ١٥٨٨)، وهو



٢. درب الحـج الشـامي العثماني إلى جانـب القـلاع ونقـاط الميـاه (© كلوديـن دوفـان، محمد بـن جدو، جان ماري كاستاكس).

الشارع الذي يربط المركز الإداري والتجاري للمدينة مع الميدان، وهي منطقة واسعة بعرض ٤٠ متراً، تمتد على ٥ كم وتتخللها المباني الدينية ٢١ مسجد (بينها مسجد مراد باشا الذي يعود تاريخه إلى ١٥٦٨-١٥٧٠)، بالإضافة إلى ١٧ ضريح وستة حمامات ومستودعات مملوءة بقمح حوران، وقد عكست هذه المباني فترة توجه المدينة العثمانية نحو طريق الحج (Petersen 2012: 54).

كانت مدينة دمشق منطلق ركب الحج الشامي إلى الديار المقدسة في الحجاز: مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد جرت العادة أن يرافق الدمشقيون قافلة الحج سيرا في الطريق السلطاني إلى الميدان، حتى قبة "يلبغا"، حيث المسجد الذي بني في العهد المملوكي خارج سور دمشق، والذي تم ترميمه في عهد والي دمشق سيف الدين يلبغا اليحياوي حاكم دمشق بين أعوام (١٣٤٥-١٣٤٧)، وقد أعيد ترميم القبة في بداية العهد العثماني واشتهرت باسم "قبة الحج"، باعتبار أنها أصبحت المحطة الأولى لقافلة الحج الشامي (Bakhit 1982: 113, n. 135).

بعد ذلك، يدخل الجميع إلى قرية القدم حيث تكيّة أحمد باشا التي اشتهرت لاحقًاً باسم تكيّة أو قبة جامع "العسالي"، وكان من أوائل من زارها ووثقها الرحالة

العثماني المعروف اوليا جلبي (Seyhatnâmesi IX: 295).

يمر المحمل بعد هذه القبة على **مسجد القدم**، وهو عبارة عن قبة صغيرة نحاسية مذهبة تحتها حجر أسود، به أثر قدمين يقال إنهما للنبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهنا، ينتظر تجمّع الحجاج ٣ أيام، بعدها تواصل القافلة، بقيادة أمير الحجّ، طريقها إلى الأراضي المقدسة بالحجاز.

المحطة الأولى في طريق الحج هي قرية **الكسوة**، وقد تطورت القرية منذ العصور الوسطى، حيث كانت تحتوي مسجداً وحماماً وخاناً صغيراً وجسراً مرصوفاً يمتد على النهر، على جانبيه حدائق كروم عنب (Evliya çelebi, Seyhatnâmesi IX: 28; Burckhardt 1822, Ch. 2: 2).

من الكسوة إلى **خان دانون** على بعد ٢ كم إلى الجنوب، تقطع القافلة سهلاً منبسطاً تنتشر فيه بعض القرى الصغيرة.

مرّ الرحالة اوليا جلبي على قرية خان دنون سنة ١٦٧٢، والتي كانت حسب وصفه مجرد محطة استراحة للقافلة يعود تاريخ نشأتها إلى العهد المملوكي ١٣٧٦(Sauvaget 1935-1945).

وقد كان الخان يوفر للعائدين من مكّة حاجياتهم من الغذاء، وهو مستطيل الشكل تقريباً، يتألف من قسمين يحيطان ببركة وباحة تحيط بها القاعات من كل الجهات؛ وبالإضافة إلى ذلك، كان هذا الخان يحتوي خمسة أبراج دائرية في الزوايا الخارجية، وفي وسط الضلع الغربي كان هناك ١٠٠ قدر لإعداد الحساء للحجاج.

سبق للرحالة بورخات، أن زارهذا الخان سنة ١٨١٠ميلادي وروى أنه كان في حالة قريبة من الإنهيار (Burkhardt 1822: Ch. 2: 3).

تعتبر غباغب المحطة الثانية بعد الكسوة وترتفع حوالي ٧٥٠ متر، حيث ذكرها صاحب منازل الحج (Jasir, al 1969: 184)، وذكرها بورخارت تحت اسم غبايب (Burkhardt 1822: Ch. 2: 3)، اما تسميتها إلى فتعود للقرن السادس عشر تحتوي على خاناً صغيراً في حالة منهارة يقع على يسار الطريق، يقابله من اليمين خزان ماء، إضافة إلى مقام يعلوه قبّة يعرف ب "مزار العشاء".

من الناحية الطبيعية، تقع غباغب في سهل ضيق، على مقربة من تكوينات جيولوجية قديمة (تعود إلى البليستوسين والميوسين الأوسط) وعلى مر الزمن، تحوّلت هذه التكوينات إلى تربة داكنة صالحة للزراعة، مع وجود مختلف الصخور البركانية، وهي ما تشكّل الحافة الغربية للجهة ذات النطاق الصخري الغني بجميع أنواع الصخور البازلتية الصلبة والهشة.

وعلى مسافة ١٣ كم جنوبا، تقع مدينة **الصنمين**، وقد ذكرت للمرة الأولى على أنها محطة على طريق الحج خلال القرن التاسع (Jasir, al- 1969) كما مر عليها ابن بطوطة خلال رحلته سنة ١٣٢٦.

تقع مدينة الصنمين على سهل فسيح يقطعه نهر العرام (بعمق أقل من ٥ أمتار) المنحدر من سفوح جبل الشيخ، والذي يصب مجراه في وادي اليرموك؛ أمّا تربة السهل البنية، فهي مستمدة من البازلت البليستوسيني، كما تتميّز هذه المدينة بمناخ متوسط معتدل شتاءًا، وجاف نسبيّا في فصل الصيف، ويبلغ معدل تساقط الأمطار ٢٧٨ مم.

شيّد العثمانيون قلعة بنيت من الحجارة السوداء في وسط هذا السهل، بين سنتي ١٥١٦ و١٥٢٠ في عهد سليم الأول (Barbir 1980: 134).

يحدثنا الرحالة التركي أوليا جلبي في كتابه (سياحتنامه ١١:٢٨) عن مدينة الصنمين، فيذكر أن عدد السكان كان حوالي ٢٦٠٠ نسمة، وهي تقع على منتصف الطريق الرئيسي مع دمشق، الأمر الذي أعطاها الأهمية كمركز استراتيجي هام، فكانت مركز تقاطع لشبكة طرقات رئيسة بين سوريا وفلسطين ولبنان، ولهذا اعتبرت أحيانا المدينة الثانية بعد مدينة دمشق على طريق قافلة الحج الشامية، وهي تتميز بمبانيها ذات الحجارة البركانية السوداء.

من الناحية العمرانيّة، تحتوي المدينة على حمّامات أثرية وآثار اسلامية عديدة، منها المسجد الكبير والذي أمر ببنائه الخليفة عمر بن الخطاب، إلى جانب مسجد عثماني وخان كبير؛ وكان في الزاوية الشمالية الغربية لجامع عمر مئذنة مقطعها مربع الشكل ولها ثماني نوافذ، وتقوم على أربع قناطر، وكانت تبرز للقوافل التجارية من مسافة بعيدة.

أشار أوليا جلبي إلى أنه على الرغم من عدم وجود سوق في المدينة، فإن عدداً من البغايا ينتظرن الحرفاء على طول الطريق، كما شاهد جسر جنوب

المدينة يعود حسب محمد اديب إلى السلطان سليم الأول (Bianchi 1825: 122).

يواصل طريق الحج مساره مروراً **بازرع** (حوالي ٦٠٠ م) نحو الجنوب - الجنوب الشرقي، على أطراف الهضبة التي تفصل بين التكوينات البازلتية والأراضي السهلية المجاورة والغنية بتربتها.

على مسافة ٦ كم غرباً، يمر الطريق على بعض القرى الأخرى التي تنتمي إلى نفس المشهد الطبيعي عامة: **شيخ مسكين** (٥٣١م)، **ابطا** (٤كم جنوباً) **وداعل**.

تستمر القافلة في سيرها نحو الجنوب الغربي مسافة ١١ كم، لتصل إلى المزيريب، وهي على ارتفاع منخفض (٤٥٦ متر)، ويتميز المشهد الطبيعي برتابته: سهل فسيح مع أودية قليلة العمق، تحدّه منطقة رعوية تنتمي إلى الجزء الجنوبي من وعر اللّجاة القليل الأعشاب.

ربما قررت القافلة البقاء في مزيريب يوماً أو يومين، للتزود بالحاجيات وليلتحق بهم المتخلفون، وهو ما ذكره الحاج الإيطالي لودفيكو دي فارتيما أو بارتيما والذي سمى نفسه ''الحاج يونس'' وقد ترجمت رحلاته إلى العربية من قبل عبد الرحمن عبد الله الشيخ، وقد قضى ٣ أيام في مزيريب أثناء مروره بها سنة ١٥٠٣ ويذكر أنّه لم تكن توجد بها مباني ذات قيمة (transl. Jones in Badger 1863 ed.: 16). تم ذكر قلعة المزيريب لأول مرة سنة ١٥٦٣ في الأرشيف العثماني، كان بها حامية متكوّنة من ٥١ جندياً (Bakhit 198: 98) في نفس السنة، نجد أن كتاب منازل الحج يذكر مزيريب على أنها محطة (al-Jasir, 1969: 174).

ووفقا للمصادر العثمانية الرسمية، توقفت القافلة لمدة سبعة أيام في المزيريب حيث كان يحتوي على سوق كبيرة للإبل، وقد استخدمت قلعتها للمعاملات المالية لمحافظ دمشق ولجمع ضرائب التجار.

كان أمير الحج الشامي مسؤولاً عن قافلة الحج، وقد تم تخصيص مبالغ من المال عرفت (بالصرر) كانت توزع على رؤساء القبائل البدوية، لتأمين سلامة الحجاج على طول الطريق (Petersen 2012: 55).

يعتبر أوليا جلبي أوّل من ذكر قلعة مزيريب في كتابه (سياحتنامه ٩:٢٠١) وذلك خلال مروره بها سنة ١٦٧٠، وهي عبارة عن مبنى مربع الشكل طول ضلعه الخارجي نحو ٨٠ م، مزودة بسبعة أبراج، يتوسطها مسجد وحمام صغيرين، ويبدو أن هذه القلعة كانت تتكون من طابقين، توجد في الطابق الأرضي قناطر ذات أقواس أقرب وظيفياً إلى مخازن للحبوب لها علاقة باحتياجات الحجاج الغذائيّة، في حين يحتوي الطابق العلوي على غرف نوم كانت تخصص لمبيت الحجاج.

كان بهذه الحامية قائد عسكري مصاحب للحامية المكونة من ٨٠ جندي، وقد تقلص هذا العدد إلى ١٢ جندياً خلال القرن الثامن عشر (Kiel 2001: 104).

وهو ما أكّده الرحالة الألماني بورخارت خلال بمروره بالمدينة سنة ١٨١٢ (1822, 19 :Ch. 4: 19).

في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، أشار شوماخر، الذي ترك رسما للقلعة الواقعة شمال شرق البحيرة، وكذلك القرية والمطاحن المحيطة بها، أشار إلى أن القلعة بدأت تسقط في الخراب ''فلا وجود للحامية، بل هناك عدد قليل من الأكواخ الطينية والحجرية التي يمكن أن تأوي الحجاج'' (شوماخر ١٨٨٦: ١٥٧-١٦٦). في عام ١٩١٩، كانت القلعة مهجورة وذلك حسب شهادة مؤرخ الفن الإسلامي والهندسة المعمارية كريسوال (K.A.C. Creswell) الذي زارها بمناسبة إعداد جرد مؤقت لمباني حلب التاريخية (Petersen 2012: 56).

اقتصر طريق الحج، منذ بداية القرن السادس عشر، على **مزيريب** وتم الاستغناء نهائيًا عن ***بصرى***.

على بعد ١٨ كم جنوب شرق مزيريب، يبدأ التباين في البروز بين الهضبة التي تقع عليها قرية **الرمثا** والتي تنتمي لنفس التكوين التكتوني الذي يبدأ في الإرتفاع تدريجيا انطلاقا من درعا، (التشكيلات الصخرية الكلسية المتآكلة بفعل الانجراف وعوامل التعرية) وبين التكوينات الرسوبية نحو الجنوب، حيث التربة فقيرة وقليلة السمك، وهي بذلك توفر اطار زراعي هش (يتراوح معدل كميات الأمطار بين ٢٥٠ و٣٠٠ مم) قد تبيت القافلة ليلتها بمدينة الرمثا، حسب داوتي (Doughty 1931: 40-41). وذلك لتجديد حمولتها من ماء الشراب حيث تقع خزانات المياه على مقربة من المدينة (Burckhardt 1822: 657, Appendix III).

تواصل القافلة رحلتها نحو الجنوب الشرقي على مسافة ٣٤ كم حيث تصل قلعة **المفرق** (٦٨٦م) حيث

يتكون المشهد الطبيعي من سهل بازلتي في الشرق، وهضبة من تكوينات الحجر الجيري المارلي، تتخللها أودية غير عميقة (تنخفض كميات الأمطار إلى ١٥٠ مم) تاريخيا، بعد فترة وجيزة من غزو سوريا في عام ١٥١٦، أمر السلطان سليم الأول (١٥٢٠-١٥١٢) ببناء ثلاث حصون جنوب دمشق وذلك بالصنمين، مزيريب وتل المفرق (Barbir 1980: 134, n. 68).

وبمحاذاة حصن المفرق مر داوتي سنة ١٨٧٥ وكتب أنها عبارة عن قلعة مهجورة (Doughty 1931: 47).

كما نجد في مسار مصطفى باشا سنة ١٥٦٣ اشارة للمفرق على أساس أنها محطة بين مزيريب وقصر شبيب-الزرقاء (Petersen 2012: 60-61).

يحدثنا أوليا جلبي عن زيارته لقلعة قصر شبيب سنة ١٦٧٢ في كتابه (سياحتنامه ٩:٢٩٢) ويذكر أنه عبارة عن مبنى مربّع أنشئ في وسط الصحراء من طرف قبائل بني هلال، كانوا يستعملونه كإسطبل للماشية. غير أنه من الناحية التاريخية، يعود هذا القصر إلى الفترة الرومانية (القرن ٣)، وقد أعيد بناؤه في القرن ٦ م من طرف الحارث الغساني، وفي العهد العثماني كانت توجد به حامية لتأمين سلامة الحجاج أثناء مرورهم على المدينة.

كان على رأس هذه الحامية ضابط برتبة اغا، وهو من القبائل التي تقطن حول المدينة وتتعاطى زراعة الحبوب والذرة والعنب بحسب بورخارت، الذي كتب عن سكان البلقاء البدو، أنهم كانوا يخزنون فيه حاجياتهم من الحبوب لاستعمالها أو لبيعها للحجاج الذين يبيتون ليلتهم بالقرب من المدينة (1822: 657, Appendix III).

أوّل إشارة في المصادر العثمانية لقلعة الزرقاء كانت سنة ١٥١٩ وذلك في اطار الصراع بين الحجاج وبدو قبائل المفارجة (Bakhit 1982: 221).

وفي سنة ١٧٧٩ يتحدث محمد أديب عن الزرقاء على اعتبار أنها قرية مهجورة، تحتوي على حصن يحتوي على بئر مياه صالحة للشرب (Bianchi 1818-1825: 123).

في رحلته المسماة "إلى الشرق من الأردن"، يرى الكولونيل سيلاه ميريل، القنصل الأمريكي بالقدس آنذاك (١٨٣٧-١٩٠٩)، أن قصر شبيب كان يستقبل الحجاج وفي نفس الوقت يعتبر مخزناً لمواد الفلاحة للبدو (Merrill 1883).

تواصل القافلة سيرها مسافة ٣٣ كم جنوب قصر شبيب-الزرقاء (٥٨٢م) إلى غاية **الجيزة** (٧١٣م)، وهي محطة على طريق قافلة الحج، كمعظم المحطات الصحراوية الأخرى، تستند إلى قلعة وبركة ماء ضخمة لتأمين الحماية والماء، وهو نفس المسار الذي تسلكه قافلة الحج في العصر الوسيط. في عام ١٥٦٩، أمر السلطان العثماني حاكم دمشق بإصلاح القلعة القريبة من بركة الجيزة (Bakhit 1982: 213) ، ويبدو أنها استعملت كمقر لقوات البادية الأردنية في القرن الماضي (Petersen 2012: 66-68) إلا أننا لا نجد ما يفيد بوجود جامع أموي على مقربة من القلعة والذي ذكره جينيكان (Genequand 2012).

ومن الجيزة، تواصل القافلة رحلتها في اتجاه الجنوب الشرقي على مسافة ١١ كم، لتصل قلعة **ضبعة**، وهو مبنى عثماني شيد في عهد السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٧ – ١٥٢٠)، على ارتفاع ٧٠٨م، في بيئة جافة نسبيا، حيث لا تزيد معدل كميات الأمطار عن ١٠٠ مم سنويا. وهي بذلك تمثل الخط الفاصل بين السهول والصحراء، غير أنها تستفيد من قربها لوادي الخريم.

القلعة عبارة عن حصن مربع يتألف من طابقين (٢٥ × ٢٥ م) دعمت اركانها بأربعة أبراج، ٣ منها مجهزة بخراطيم مطرية نافرة تساهم في تغذية البئر داخل القاعة، كما تحتوي على ساحة مربعة (٩/٩٢م) وغرف بشكل مربعات وعلى مقربة منها، نجد خزانين كانا يستخدمان في تجميع المياه الجوفية (الخزان الأكبر ٢٢,٤م/٢١,٢م).

إلى الجنوب من القلعة تقع مقابر للبدو الذين استقروا بالمكان، والذين مارسوا الزراعة والرعي ونصبوا خيامهم حول القلعة حسب ما ذكره الرحالة بورخارت (1822, 657-658 :Appendix III)

وكان المستشرق رودلف برونوف، قد سجّل نقش باللغة العربيّة بتاريخ ٢٣ /٢/ ١٨٩٨ (1905: Pls 31-33).

وتفيد المصادر أنه تم ترميم القلعة على فترات: في عام ١٧٦٧ من خلال أمير الحج (عثمان باشا) (Petersen 2012: 75). وفي سنة ١٨٧٠ في عهد

السلطان عبدالحميد، خلال مشروع خط سكة حديد الحجاز – الشام بين سنتي ١٩٠٠ – ١٩٠٨ وأخيرا سنة ٢٠٠٨.

حول قلعة ضبعة، يتألّف المشهد الطبيعي من تلال مدورة وتربة فقيرة تغطيها صخور جيرية وترسبات طباشيرية تتخللها الأودية (صلصال طباشيري ينتمي للموقر الايوسيني) ويختلط في هذا النطاق بمجموعة الترب الفتية/ مبتدئة التطور.

يغادر ركب الحجاج قلعة ضبعة في اتجاه الجنوب ليقطع مسافة ٤٠ كم، فيصل بعد ذلك إلى قلعة **قطرانة** (٧٧٤م).

تم بناء القلعة (**الشكل ٣**) سنة ١٥٥٩ بناءاً على أوامر السلطان سليمان القانوني (Hesan, al- 2007).

وربما بنيت ربما على أنقاض مبنى يعود للعهد المملوكي ارتبطت وظيفته بخدمة القوافل التجارية.

تتكون القلعة من بناء مستطيل الشكل (٢٢,٢م / ١٧,٣٥م وبارتفاع ١٠م)، وتحتوي من الداخل على فناء مستطيل (٤,١ م/ ١٨,٦٠ م) وبئر. إلا أنه لا وجود لمسجد بها، مثلما نقل لنا الرحالة التركي اوليا جلبي في كتابه (٩:٢٩٤).

وإلى الجهة الشرقية من القلعة، حيث المدخل الرئيسي (على بعد ٢٦ م) نجد معلم معماري مائي مكون من سد ترابي (٧٥ م من موقع القلعة)، قناتين ناقلتين للمياه (قطرها ١٠٣م) وحوض للترسيب (٣٥,٥ م / ٩,١ م) وبركه ضخمه (٧٠ × ٧٠م وعمق



٣. قلعة القطرانة والمنشـئات المائية القريبة منها (خزان المياه) وقد كانـت هذه القلعـة إحدى المراحـل الرئيسية علـى طريق الحج؛ تقع على الطريق التي أمر بشـقِّها السلطان سـليمان القانوني (© صورة كلودين دوفان).

٥,٢ م) وقد أمر سليمان القانوني بإعادة تظهيرها بعد أن كانت قد تساوت مع الأرض.

يتكون المشهد الطبيعي حول قلعة القطرانة من مجموعة من التلال والهضاب التي تتخللها روافد لوادي الموجب، مع رواسب غرينية وغطاء لويسي يغطي الأحجار الكلسية والفوسفاتية، بالإضافة إلى رواسب نهرية في أسفل المنحدرات والوديان الصالحة لزراعة الشعير، وفي جنوب القلعة نجد **وادي حنيفة** الذي يسير في اتجاه الشمال ثم الغرب.

ومن القطرنة تتابع القافلة سيرها نحو الجنوب على مسافة ٤٠ كم، لتصل إلى قلعة **الحسا** الواقعة على الجانب الأيمن من الطريق الصحراوي على مسافة ١ كم من وادي الحسا.

ما يميّز منطقة الحسا بصفة عامّة هو الطابع الجبلي، ففي هذا النطاق، تنحدر التضاريس نحو الغرب باتجاه البحر الميت، مخلفة طبقات من الصخور الجيرية والمارل والطباشير والتي تعاني من الانجراف والانسياب.

جنوبا وعلى المنخفضات، لا سيّما في مجاري الأودية، تكون التربة منقولة مع السيّول وترتفع بها نسبة المواد العضوّية، وتكوّن بذلك اطارا يمكّن من تعاطي نشاط زراعي موسمي، وذلك على الرغم من الميلان الفوضوي للوحدات التضاريسية.

ورد ذكر قلعة الحسا كمحطة استراحة للتجار والمسافرين والحجاج، في مسار مصطفى باشا والي الشام سنة ١٥٦٣ (Jasir, al- 1969: 184-185).

وهي عبارة عن مبنى مربعا (٢٤م /ضلع)، يتكون من طابقين، يحتوي الطابق الأرضي على غرف وفناء مربع (١٢,٥م /ضلع) - وبئر ماء (كانت توجد بها نافورة) وأدراج تصل إلى الطابق العلوي، كما يحتوي هذا الأخير على مسجد متواضع وعدد من الغرف مسقوفة بأقبية برميلية، كانت تستخدم لراحة الحجيج.

بالاعتماد على نقش وجد في محراب المسجد، يرجّح أن بناء القلعة تم في عهد السلطان العثماني مصطفى الثالث (١٧٥٧ – ١٧٧٣)، وتحديدا سنة ١٧٦٠ (Brünnow and Domaszewski 1905: 18).

توجد بركة للمياه شرق القلعة (البركة: ٢٠,٣٥ م / ٢٠,٣٠ م) وهي تتصل بالقلعة من الداخل عبر قناة حجرية مغطاة بشبائح حجرية منتظمة.

على وادي الحسا، قريباً من القلعة، بالإمكان مشاهدة بقايا جسور (١٨٥م شمال غرب القلعة)، حيث بقايا جسر مبني من ٣ أقواس من الحجارة، يبلغ طوله ٣٠ م وعرضه ١٢م، ومن المرجح أنه شيّد بين سنتي ١٧٣٠ و١٧٣٣ بأمر من والي دمشق عبدالله باشا لتامين سلامة القافلة والمسافرين (Barbir 1980: 138).

وبالإضافة إلى ذلك، نجد بقايا طريق مرصوفة بالحجارة البازلتية والصوانية، على مسافة ٣كم (١٠م عرض)، لتسهيل مهمة سير القافلة وخصوصاً في فترة نزول الأمطار (Salameen, al- 2010).

تخبرنا النصوص أن هذا الوالي العثماني أقام كذلك طريقاً معبداً بين دمشق والقنيطرة في الجولان، إضافة إلى إعادة تأهيل ضفاف الأنهار المتدهورة بين الصنمين ومزيريب، وحسب بيترسون، فان هذا الوالي أمر بتعبيد الطريق الذي يصل جسر وادي الحسا (Petersen 2012: 92).

على مسافة ١٦٨٥م جنوب القلعة، سجل فريق المسح بوادي الحسا حظيرة كبيرة الحجم، حيث بلغ قطرها ٢٤٠م، وباعتبار موقعها على طريق القافلة، فمن الممكن أنها كانت مأوى لإبل الحجاج أثناء مرورها، وهو ما يدعمه وجود أكوام من الحجارة، ذات اشكال هندسية بسيطة، صالحة لاحتضان خيام الحجاج، وذلك بالتوازي مع انتشار اكوام الرماد مع بقايا عظام وخزف (MacDonald, Rollefson, Banning, Byrd and D'Annibale 1983: 322, Pl. 72, no. 2; MacDonald 1988: 277-280).

وبالإضافة إلى ذلك، فقد أظهرت عمليات المسح الأثري حول القلعة تواجد بقايا قرى صغيرة، يبدو أنها كانت تمارس النشاط الزراعي، لا سيما الذرة (Burckhardt 1822, Appendix III: 658).

يرحل ركب الحجاج من الحسا على مسافة ٤٥ كم، إلى قلعة **عنيزة** جنوبا (١٠٠٠ م)، وهي تقع على هضبة تنحدر نحو الشرق، أرضها سوداء وحجارتها بركانية غالبا من نوع الفتات الصغير الأملس، على مسافة قريبة من جبل عنيزة، وهو بركان خامد (١١٤٤ م)، كما تبعد ٣٠٠م على وادي صوفان الذي يجري نحو الشرق باتجاه واحة الجفر.

شيدت القلعة في النصف الثاني من القرن ١٦ (حوالي ١٥٨٧) لحماية الحجاج، ويعتقد أنها انشئت على أنقاض اصطبل للخيل في العهد الروماني على الطريق العسكرية (Findlater 2002: 141-142).

القلعة عبارة عن مبنى أقرب إلى المربّع (٢٨ م من الشرق إلى الغرب، و٢٨,٨٥ م من الشمال إلى الجنوب) وقد استعمل في بنائها مزيج من الحجارة البازلتية السوداء والكلسية البيضاء، حيث ترتفع جدرانها اليوم على علو هام ومتباين، وهي بذلك تصنّف من ضمن أعلى القلاع العثمانية بالأردن.

تتكوّن القلعة من طابقين، مدخلها الوحيد يقع في الجهة الشرقية، بناؤها من الحجر الأسود والطين، يقودنا المدخل المغطى إلى فناء مربع (٥٠ م / ضلع) تحيط به ١٨ غرفة متباينة المساحة ومسقوفة بطريقة القبو البرميلي.

مما تبقى من جدران القلعة، يمكن بوضوح ملاحظة آثار بقايا سقف الطابق الثاني، ويمكن الوصول اليه عبر درجات من جهة الجنوب، كما يبدو أن الساحة الرئيسية كانت بها بئر مسقوفة بنفس طريقة الغرف والممر، وكانت تصل اليها قناة ماء من الناحية الجنوبية الغربية للساحة.

يشتمل موقع القصر على بركة على مسافة ٢٠٠م غرب القلعة وهي عبارة عن حوض طوله ٢٠م وعمقه ٨ م، يتصل بالقلعة من الداخل عبر قناة (طولها ١٥ م / عرضها ٢م) (Petersen 2012: 95-105).

يذكر محمد أديب والعديد من المسافرين الآخرين حصن ثاني أقيم على التل المقابل، ربما كان مستودعا للبضاعة وخاصة الشعير بحسب ما تشير اليه وثيقة تعود إلى ١٧٤٢(Barbir 1980: 141, n. 98).

بعد مسير يوم كامل، تصل قافلة الحجيج إلى قلعة **معان** (١٠٠٠ م)، وهي من حيث موقعها الجغرافي بمثابة همزه الوصل بين الجزيرة العربية وبلاد الشام، تحتل هضبة شبه منبسطة تتخللها بعض المرتفعات التي لا يزيد ارتفاعها عن ١٣٠٠م وتحيط بالمدينة من جانبها الغربي والجنوبي.

وقد زار بيركهارت معان وكتب أن: الحجاج يقبلون على شراء الرمان والخوخ بشغف كبير، في الوقت الذي تقبل حيواناتهم على الأعشاب البرية التي يجمعها الأهالي (بيركهارت ١٩٦٩: ١٥١). تم البدء في إنشاء القلعة العثمانية (السرايا) سنة ١٥٥٩م (Bakhit 1982: 98 n. 43 and 223).

خلال عهد السلطان سليمان القانوني، وهو ما يؤكده نقش يعلو المدخل الرئيسي مقسم إلى ثمانية خراطيش في أربعة نطاقات أفقية، على مساحة مستطيلة يتوسطها مربعان متقاطعان في شكل نجمة مثمنة الرؤوس، كُتبت بالخط العربي واللفظ العثماني نصها: " بُنيت القلعة في عهد السلطان سليمان القانوني"، إضافة إلى حجر آخر رُسمت عليه صورة جرَة ماء، دلالة على أن هذا المبنى كان يزود السكان بمياه نظيفة للشرب.

بالإضافة إلى دورها في استقبال قوافل الحج الشامي وتزويدها بالمستلزمات، كانت القلعة مقراً للفيلق العثماني الثامن الَذي كان تعداده ثمانية آلاف جندي، وهي عبارة عن مبنى من طابقين، مربعة المسقط (٢٣,٦ م لكل ضلع تقريبا)، وارتفاع ٩م. ويوجد المدخل الرئيسي بالجهة الجنوبية الشرقية (٢,١٠ م علو/ ١,٤٠ م عرض)، كما يوجد بالمدخل ٣ كتل زخرفية محفورة في الحجر الجيري إلى جانب زخارف نباتية.

مدخل القلعة يؤدّي إلى ساحة مستطيلة مكشوفة، تتوسطها بئر وتحيط بها غرف مختلفة المساحة ومغطاة بأقبية برميلية، ٤ منها في الجهة الشمالية و٤ في الجنوب، بالإضافة إلى إيوان فسيح، وعلى الجانبين درجان يقودان إلى الطابق الثاني الذي يحتوي بدوره على ممر تحيط به ٦ غرف، حيث كانت تستخدم الغرفة الأخيرة كمسجد، ونلاحظ وجود مساقط تسمح بإلقاء السوائل، مع وجود مخابئ جانبية وفتحات دقيقة للمراقبة.

توجد حول القلعة مرافق مائية، وهي مكونة من قناة مغطاة بطول ٥٠٠ م، تتصل بالبساتين القريبة من القلعة وتقع على مسافة ٤٠٠ جنوب القلعة وتسير بمحاذاة وادي صغير (٠,٨٥ م عرض/طول ٧,٤ م)، بركه الحمام في جهة الشرق، ويعتقد أنها شيدت زمن الغساسنة، وهي مربعه الشكل (ضلعها ٧٠ متر/ عمق ٧ م)، استعملت لتجميع المياه القادمة للاستعمال الزراعي مثلما هو الشأن للغدير في الجهة الشمالية للمدينة، وأخيراً نجد **بركة** كبيرة لتجميع المياه (١٩,٥٢ م / ٢٥,٢٩ م) في الجهة الجنوبية الغربيّة للقلعة ويعود تاريخ إنشاءها إلى فترة تشييد القلعة، وحسب بيترسون، فإن مياه معان لم تكن من النوع العذب (Petersen 2012: 109).

يواصل ركب الحجيج سيره جنوباً على مسافة ٧٠ كم من معان، فيقطع هضاب جيرية، متفاوتة المساحة والارتفاع، تكسوها بشكل عام بقايا حطاميه من صوان وحصى وحصباء ، ليصل إلى قلعة **فصوعة**، وهي تعرف كذلك بقلعة مبروكة أو سرايا كويك كما كانت تعرف كذلك بعقبة الصوان، وهي تقع على حافة أودية سحيقة أشهرها بطن الغول.

يقع الحصن العثماني على ارتفاع ١١٣٠ متر فوق مستوى سطح البحر، في أسفل وادي صغير، وموقع الحصن مهم باعتباره الحصن الأخير على الأراضي المرتفعة قبل أن ينحدر درب الحج من ممر ضيق من بطن الغول إلى صحراء الجزيرة العربية.

أول إشارة إلى حصن فصوعة، توجد في كتابات محمد أديب، أثناء حجه في عام ١٧٧٩، أشار إلى أن الحصن كان في وادي خال من الماء ومغطى بالحجارة والرمال (Petersen 2012: 114).

تأخذ هذه القلعة شكل المربع (٢٠,٧٠ م/ ٢٠,٢٠ م شمال جنوب) وترتفع عن سطح الأرض حوالي ٧ م، وقد استعمل في بنائها صخر البازلت، صخر الصوان، صخور حمراء مثل الحجر الرملي، بالإضافة إلى صخور جيرية وكلسية.

تتكون القلعة من طابقين، مدخلها من الجهة الشمالية (اتساع ١,٤٠ م)، ويؤدي هذا المدخل الرئيسي إلى إيوان مستطيل الشكل (٣,٩ م / ٤,٩ م) ذو سقف مدبب، على جانبه ٤ غرف متباينة المساحة ومسقوفة بأقبية برميلية.

من هذا الإيوان، مدخل يؤدى إلى فناء داخلي مكشوف ذو شكل مستطيل (٨,٨ م / ٨,١ م) يحتوي على خزان للمياه "بئر" فتحته على شكل مربع (٠,٦ م / ضلع) (Petersen 2012: 120).

تنتهي القلعة في الأعلى بشرفات بارزة، تضم فتحات (وقع سدها عن طريق الحجارة الصغيرة) لرمي السهام أو لإطلاق النار. أربعة أبراج ترتفع بمعدل ٥ م عن سطح الأرض، وتحتل الزوايا الأربع للقلعة، وهي تبرز عن الجدران ٣٠ سم، وعلى الواجهة الجنوبية للمبنى، صمم محراب يتجه إلى القبلة بارتفاع ٥ م عن سطح الأرض ونتوء بمعدل ٤٠ سم، أما الطابق العلوي، فهو يحتوي على ٥ غرف من الناحية الشمالية و٤ من الناحية الجنوبية، مع وجود تطابق عامة مع

الطابق الأرضي، حيث نجد كذلك المحراب والمسجد ولكن بمساحة أقل (Petersen 2012: 115 and 216).

إلى الشمال من القلعة، بحوالي ٦٠م، توجد بركتين لتجميع المياه من الأودية المحيطة (الأولى ٢٤ م / ١٦,٨ م والثانية ٢٣,٦ م /١٦ م)، وكل منها تعاني من الترسبات الطينية المستقرة في القاع والناتجة عن ترسب الرمال والأتربة، على الجانبين الشرقي والغربي، كما توجد درجات تصل إلى قاعها، إضافة إلى وجود ٥ فتحات تسمح بالاتصال فيما بينها ومع امكانية مرور المياه من الأولى إلى الثانية، كما يوجد رواق بين البركتين.

وعلى مسافة ٥٠٠ م شرق القلعة، أقيم برجين على هيئة شكل مربع منتظم (٢,٩ م / ضلع) بارتفاع ٢م، من المرجح أنه لعب دور المنارة في ارشاد الحجيج والمسافرين ليلا.

ويبدو أنه قد تم احتلال هذا الحصن لفترة وجيزة فقط، حيث أنّه في تقرير ينسب لمهندس في الجيش المصري، كان قد أرسله إلى نائب الملك في مصر سنة ١٨٢٥، محمد على (في إطار مهمته الموكلة اليه من طرف السلطان، والمتمثلة في وقف زحف الحركة الوهابية)، يتحدث المهندس عن الحصن فيقول أنّه كان في حالة خراب بالإضافة إلى انه مهجور.

من فصوعة، تواصل قافلة الحاج الشامية طريقها وسط صحارٍ صخرية قاحلة، سالكة مسار شاق وعسير، حيث يذكر أوليا الجلبي التركي أنه في هذه المنطقة، من المستحيل تقريبا ركوب دابّة (Seyhatnâmesi IX: 577; Bilge 1979: 218).

إذ يضطر الحجاج إلى السير على الأرض الصخرية (محمد أديب ١٧٧٩)، في الوقت الذي يجلس أمير الحج مراقبا حركة القافة تحت مظلة تقيه مَنْ حَرَ الشمس، في حين يتناوب الفريق المكلف بالماء على توزيع حصص الشراب على المسافرين. ويقدر الرحالة السويسري بورخارت النزول إلى **بطن الغول** بحوالي نصف ساعة مشيا على الأقدام، كان الحجيج يرددون خلالها: رحم الله كل من نُزل بطن الغول (Burckhardt 1822: 658-659, Appendix III).

بعد مسير القافلة لما يقارب ١٥ ساعة نحو الجنوب، تصل قلعة **المدوَّرة** ، وتستمد هذه الأخيرة اسمها من جبل صغير مدور قريب منها، وهي المحطة الأخيرة على طريق قافلة الحج الشامية بالأردن (**الشكل ٤**)، كما أنها تقع في بداية السهل الرملي بشمال شبه الجزيرة العربية.

تتخذ القلعة شكل المربع (١٩ م / ضلع)، مدخلها الرئيسي من جهة الشرق (١,٣ م / عرض) يغطيه قبو نصف اسطواني (٤ م / ٢,٦ م)، على جانبيه توجد أدراج تفضي إلى الطابق الأعلى.

يقودنا البهو إلى فناء مستطيل (٧,٥ م / ٧,١ م) ينتهي بإيوان وتحيط به ٤ غرف مستطيلة ومسقوفة ذات عقود نصف برميلية وأبواب باتساع ٠,٧ م لكل غرفة. تحتوي القلعة من الداخل على ساحة مركزية مستطيلة كما يوجد بها من الخارج أبراج أو دعائم حجرية في كل زاوية باستثناء الزاوية الشمالية الغربيّة.

وفي جنوب القلعة، نجد بقايا خزان مياه ذو شكل مستطيل (٣١,٨ م / ١٥ م)، ينقسم بدوره إلى ٣ أجزاء مستطيلة، مع وجود درج للنزول إلى اسفل الخزان المملوء حاليا بالتراب، غير أن الخزان الثاني الذي ورد ذكره في تقرير مرفوع إلى محمد علي باشا، يبدو أنّه أصبح مطمورا بالتراب ويستحيل رؤيته.

خلال زيارتنا للموقع، لاحظنا وجود بقايا من الطريق القديم المؤدي للقلعة (على طول ٥٥٠ م) وهو مرصوف بالحجارة الصوانية والرملية، وعرضه يتراوح من ٤ إلى ٥ أمتار. يعود تأسيس القلعة إلى القرن ١٨، كما أنّه في الخمسينات من القرن الماضي كانت تستغله قوات البادية.

تترك القافلة قلعة المدوّرة في اتجاه قلعة **ذات الحاج**، وهي أوّل القلاع التي بنيت لحماية الحجيج



٤. قلعة المدورة، آخر محطات قافلة الحج الشامي على الأرض الأردنية (©٢٠١٤ صورة كلودين دوفان).

بالعصر العثماني على الأراضي السعوديّة، وبها محطة من محطات سكة حديد الحجاز، ويذكر في كتب الرحلات أنّ بها بركة ماء.

هنا، يتكون المشهد الطبيعي من أراضي تتنوّع بين كثبان رمليّة وسبخات صغيرة المساحة إلى جانب مراوح غرينيّة، يكون فيها الطريق عبارة عن ممرات ضيقة من التربة الرملية الخشنة.

مقاربتنا للموضوع

التحاليل المكانيّة

اهتمت الأبحاث التي تناولت موضوع القلاع والخانات على امتداد طريق الحاج الشامي في الجزء الأردني منه بالأساس بالجانب المعماري التاريخي، ونذكر من الباحثين الأردنيين بالخصوص: عبد القادر محمود الحصان (٢٠٠٧) وزياد السلامين (٢٠١٠)، إضافة إلى الدراسات الغربيّة: باترسون (٢٠١٢) وكينيدي (٢٠١٢).

تختلف مقاربتنا للموضوع عن الدراسات السابقة من حيث إنها تعتمد على دراسة المخلفات الأثرية في علاقة بالمشهد الطبيعي بالإعتماد على قاعدة بيانات جغرافيّة مع القيام بتحاليل مكانية واحصائيّة وذلك للإجابة على أسئلة ثلاث:

- بماذا يفسّر تغيير مسار الحج الشامي؟
- إلى أي مدى كان كل مسار استجابة لعوامل طبيعية أو لاختيار انساني؟
- هل أن طريق الحج في مختلف فتراته، كان هو المسار الأمثل فعليّا؟

ما يميز مقاربتنا للموضوع عن المقاربات الأخرى، هي أنها تعتمد على دراسة درب الحج في علاقة بأهم العناصر المكونة للمشهد الطبيعي: ميلان التضاريس واتجاهها، نموذج الارتفاعات الرقمية، نقاط المياه: الآبار والعيون، حساب منطقة الأمان من خلال تحديد مجال الرؤية، طبيعة السطح والغطاء النباتي، تكلفة المسافة، التجمعات السكنية ومعوقات الطريق.

بصفة عامة، يمكن تقسيم المشهد الطبيعي إلى قسمين من الشمال إلى الجنوب:

يتكوّن القسم الأول من خط دمشق - معان، حيث يتكون المشهد الطبيعي من سهول وهضاب، في نطاق يتراوح فيه معدل كميات الأمطار من ٣٠٠ ملم في السنة إلى ٤٠ملم، في حين أن الإمكانات السنوية للتبخر النتحي يرتفع من ١٤٥٠ملم إلى ٢٤٠٠ملم، كما يتآكل الغطاء النباتي كلما اتجهنا إلى الجنوب، ليقتصر على تكوينات نباتية قصيرة، في مناطق يغلب عليها الحجر الرملي والجرانيت، مع وجود نباتات حولية في مجاري الوديان، وبدوره يصبح المناخ قاحلاً بشكل متزايد من الغرب إلى الشرق.

أمّا القسم الثاني فيبدأ من معان حتى نهاية درب القافلة الشامي على الحدود الأردنية السعودية، وفي هذا القسم، كان الحجاج على موعد مع الصحراء الحقيقية، في رحلة ممتلئة بالمشقة والمغامرة بين تلال ورمال، حيث تشح الموارد، إضافة إلى مواجهة الحر الشديد في فصل الصيف أو البرد والسيول في فصل الشتاء.

عمليات التحليل المكاني:

حساب تكلفة السطح

تشكل التضاريس بمختلف مكوناتها جملة من العوائق أمام تحرك القافلة خلال رحلتها من دمشق إلى الحجاز، لذلك كان من الضروري محاكاة صعوبة التنقل طيلة الطريق، بمعنى المسافة القصوى التي يمكن للقافلة أن تقطعها خلال سيرها، وفي هذا الإطار، سنستعرض أهم هذه المعوقات الطبيعيّة، وبشكل عام، كان طريق القافلة يتكون من أراضي قليلة التباين، صخرية، طينية أو رمليّة وتتواجد على السهول، الهضاب والتلال.

في اطار قياس تكلفة السطح، نجد أن هناك معادلات رياضية عديدة قد وقعت تجربتها، غير أنّه لا يمكن استعمالها مع مختلف التضاريس، وتعتبر معادلة توبلر أكثرها شيوعاً واستعمالاً لتمثيل صعوبات الواقع، وهي تعتمد بالأساس على قياس سرعة الحركة اعتماداً على قيمة انحدار السطح (Tobler 1993).

$$\text{Velocity} = 6\times\exp\{-3.5\times\text{abs}(S+0.05)\} = 5.4 \text{ km/h}$$

S = طبقة الانحدار بوحدة الدرجة

غير أن ما يؤخذ على هذه المعادلة هي إنها لا تأخذ بعين الاعتبار اتجاه الإنحدار، بمعنى آخر، هل أن انحدار الطريق أمام القافلة، هو للأسفل أم للأعلى؟ ولذلك وقع تعديل هذه المعادلة حتى تكون مطابقة للواقع:

$$T = [(a)\times(\text{Delta S})]+[(b)\times(\text{Delta H Uphill})]$$

+[(c)×(Delta H Moderate Downhill)]
+[(d) * (Delta H Steep Downhill)]
T = الزمن، ويعبر عنه بوحدة الثانية.
Delta S = وهي المسافة الافقية.
Delta H = وهي المسافة العمودية.

بالاعتماد على المصادر التاريخية والاثنوغرافية، يمكن القول أن السرعة العادية لقافلة الحج كانت تتراوح بين ٢,٥ إلى ٣ كم / الساعة (Burton 1893: I: 244; Peters 1994: 71-73).

وهذا المعدل، اكّده لنا السيد أبو هيل ضيف الله رضا درويش من قبيلة السطول من بني صخر، والذي يذكر لنا أنه في الثلاثينات من القرن الماضي، أيّام طفولته، كانت قافلة الحج تقطع أراضي اجداده وتستريح لبعض الوقت في قلعة ضبعة.

وبالعودة إلى المعادلة الرياضية السابقة، وبغاية تعديلها لتكون متطابقة مع قافلة الحج، قمنا بتحويلها لتصبح كالاتي:

Velocity = 6×exp {-3.5×abs (S+0.05)}/ 2
= 2.7 km/h

(**الشكل ٥ و٦**).

كيف تبدو العلاقة بين طريق القافلة ومكونات المشهد الطبيعي؟

العلاقة بين المسار وانحدار التضاريس

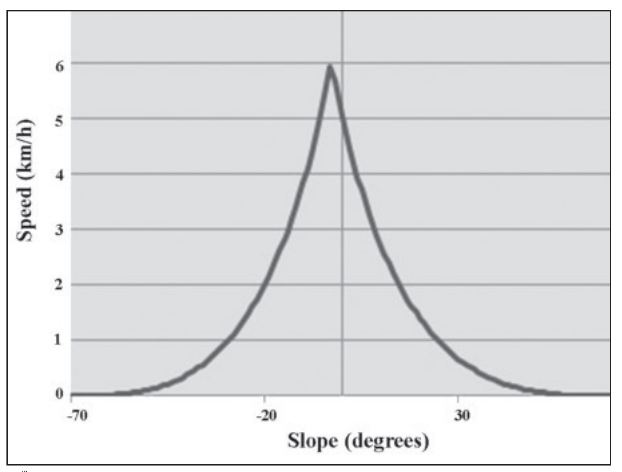
أثبتت نتيجة عملية التحليل المكاني أن هناك ارتباط وثيق بين المسار وطبيعة الإنحدار، ولذلك نلاحظ أن هناك تفضيل للتضاريس ضعيفة الميلان، على أن لا يتجاوز هذا الإنحدار ٦ درجات، وهذه القاعدة تنطبق على الطريقين الإسلامي والعثماني.

العلاقة بين طريق القافلة ونوعية التربة

من الضروري في اطار هذا البحث، دراسة التربة والغطاء النباتي، واستخدامات الأرض المختلفة بالمناطق التي يمر عليها الطريق، بل أن نوعية السطح كانت من العوامل الأساسية في تحديد مسار القافلة، (**الشكل ٧ و٨**) وفي هذا الإطار كان لا بد من القيام بعملية تصنيف لأنواع التربة الموجودة بطريق الحج، وذلك حسب مقياس ينقسم إلى ٧ أقسام، بداية من الأصعب حتى الأسهل:

Slope (degrees)	Speed (km/h)
-70	0.00
-50	0.11
-30	0.95
-10	3.86
-2.8	6.00
0	5.04
2.8	4.23
0	2.72
30	0.67
50	0.08
0	0.00

٥. جدول يوضح العلاقة بين انحدار التضاريس وسرعة التنقّل (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).



٦. رسم بياني يوضح العلاقة بين انحدار التضاريس وسرعة التنقّل (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

١- الأراضي الصخرية والمحجرة وهي غير ملائمة لسير القافلة رغم احتوائها أحيانا على نسبة من التربة اللوسيّة

٢- التربة الطينية أو التربة غير المستقرة وخاصة إذا كانت على سفوح المنحدرات أو ضفاف الأودية لا سيّما في فترة نزول الأمطار.

٣- الأراضي التي تغطيها طبقة من الصخور البازلتية والكلسية والتي تسمح بسير القافلة، غير أنها


٧. طريق قافلة الحج الشامي بين قلعة ضبعة وزيزيا (الجيزة)، على اليسار، الطريق الحديثة (©٢٠١٦ صورة كلودين دوفان).

أحياناً لا تتناسب مع الطريق إذا كانت المنطقة تتخللها أودية أو عروق رملية.

٤- الأراضي التي تغطيها طبقة من الرمال والحصى وهي من التربة الملائمة، إلا أنها غالباً ما تكون في شكل شرائط أو ممرات ضيقة بين المرتفعات أو في مجاري الأودية وتكون بصفة عامة متعامدة مع اتجاه الطريق.

٥- الأراضي الواسعة المستوية، وخاصة السهول التي تحتوي على تربة بازلتية.

٦- أراضي شاسعة تغطيها طبقة من الرمال والحصباء تتخللها أودية ضيقة أو مسيلات وروافد.

٧- الأراضي التي تغطيها ذرات الرمال الدقيقة ناتجة عن حركة الرياح، ويمكن أن تترسب في مستويات منخفضة إلا أنها ليست شائعة على طريق القافلة.

خناماً يمكن القول أن أفضل الأراضي التي تلائم طريق القافلة، هي التي تغطيها الرمال الدقيقة أو الحصى، والتي تتواجد خاصة بمجاري الأودية.

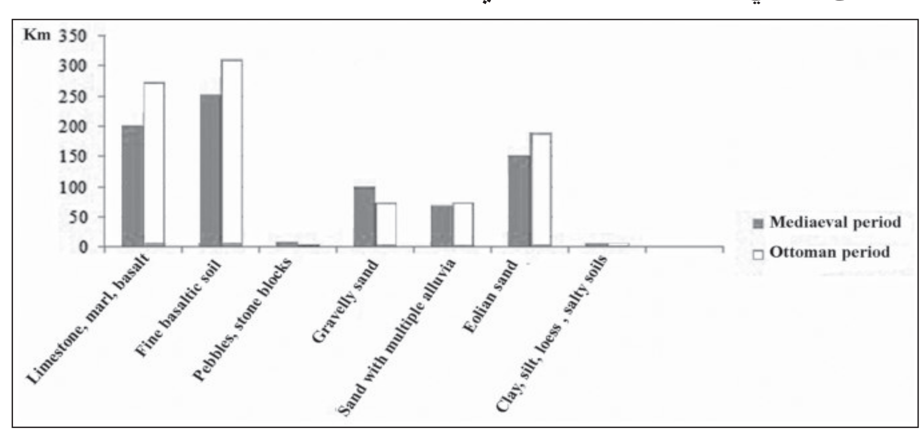
العلاقة بين طريق القافلة وتحديد مجال الرؤية

أثبتت نتائج عمليات التحليل المكاني عدم وجود ارتباط بين الطريق ومدى وضوح الرؤية، على الأقل بالنسبة للعهد الإسلامي، وعلى العكس من ذلك، فإن هذا العامل كان قد لعب دوراً اساسياً خلال العهد العثماني، إذ كانت القافلة تحرص على السير في طريق يتوفّر فيه قدر من الأمان من خلال رؤية أي خطر من مسافة بعيدة، ولعل طبيعة التضاريس قد ساعدت على ذلك، حيث أنه لاوجود لحواجز طبيعية أو مرتفعات عالية من شأنها حجب الرؤية؛ وهذا ما يؤكّده الرحالة داوتي (١٨٤٣-١٩٢٦) من خلال رحلته إلى الحجاز سنة ١٨٧٦ انطلاقاً من دمشق، حيث لا يخفي اعجابه من المشهد الطبيعي الذي كان مترامي الأطراف، ثم من الصحراء التي تمتد إلى ما لانهاية، فلا يجدها سوى الأماكن المقدسة، إذ يقول في هذا الصدد "في البداية، تقطع القافلة سهلاً فسيحاً يكثر فيه الرمل إلى جانب الطين الصلصالي، لمدة ١٠ أو ١٢ يوم حتى مدينة معان الواقعة على جبل أدوم والتي لا تبعد كثيراً عن البتراء" (Doughty 1931: 36).

حساب المسافة الموزونة

العلاقة بين طريق القافلة ونقاط المياه "عيون / خزانات / برك" (**الشكل ٩**).

خلال مختلف مراحل عمليات التحليل المكاني، لم يقع الاخذ بعين الإعتبار عنصر الآبار، وذلك لغياب معلومات حول تاريخ إنشائها؛ وقد اثبتت لنا نتائج التحاليل المكاني أن هناك ترابط هام بين طريق القافلة ونقاط المياه، خلال الفترتين الإسلامية والعثمانية (**الشكل ٢**)، وهي لاشك، وضعية موروثة عن العهود السابقة: البيزنطية والمملوكية.



٨. العلاقة بين طريق القافلة ونوعية التربة (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).



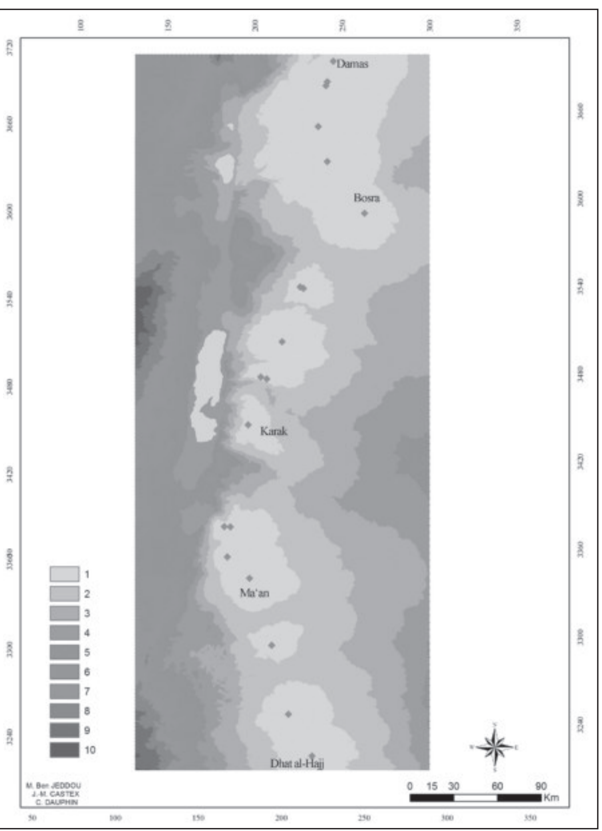
٩. بئر ماء يتوسـط الساحة الرئيسية لقلعة ضبعة (© كلودين دوفان ٢٠١٦).

وبالنظر إلى الخريطة، نلاحظ تركّز العيون بصفة خاصة على مرتفعات ادوم ومؤاب، لا سيما حول خط تقسيم المياه ونقاط تقاطع الطرق، ولعل ذلك من بين الأسباب التي تفسّر تواجد المدن والقرى بشكل مكثف (**الشكل ١٠**).

إلا أن هذه العلاقة تبدو جليّة خلال العهد العثماني، حيث نجد العديد من الخزانات والبرك لتجميع مياه الأمطار على مقربة من القلاع والحصون، وذلك باعتباره برنامجاً مخططا له سلفاً من طرف السلطة المركزيّة، وهي تعود إلى القرنين ١٦ و١٨، حيث أنشات الإدارة العثمانية نقاط مياه حول القلاع التي تقع على طريق قافلة الحج (**الشكل ١١**) بهدف توفير الماء إلى القافلة، في هذا الإطار، كلّف محمد علي باشا فريقا لصيانة هذه المنشآت المائية، كما يوضح تقريرا صدر عن هذا الفريق سنة ١٨٢٨(Petersen 2012: 214-222).

العلاقة بين طريق القافلة والتجمعات السكنيّة

بعد الاطلاع على قواعد البينات: **جاديس** و**ميغا** بموافقة من دائرة الآثار، أمكن لنا ميدانيا معاينة طريق



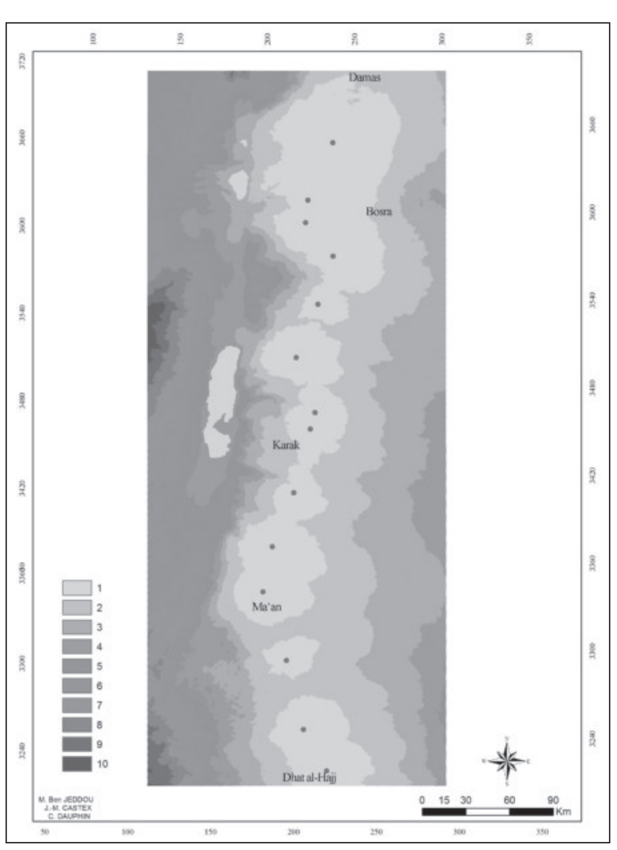
١٠. العلاقة بين درب الحج الشـامي والتجمعـات السكنيّة في الفترة الإسـلامية، التـدرج فـي الألوان يجسّـد المسافـة الفاصلة (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

الحج بمختلف محطاته، بداية من الرمثا على حدود سوريا إلى المدورة القريبة من الحدود السعودية، كما أمكن لنا مراجعة ما يقارب:

- ١١٨١ موقع أثري من الفترة الإسلامية: الأموية، العباسية والفاطمية.
- ٨٩٤ موقع أثري من العهد الصليبي حتى المملوكي (**الشكل ١٢**).
- ٩٩٥ موقع عثماني (**الشكل ١٣**).

ومن خلال عمليات التحليل المكاني والاحصائي التي قمنا بها في اطار هذه الدراسة، لاحظنا وجود تراجع هام على المستوى الديمغرافي بين الفتح الإسلامي وفترة المماليك، تبع ذلك فترة تعافي خلال العهد العثماني.

شكل الطريق السلطاني حاجزاً طبيعياً منذ العهد البيزنطي إلى غاية العهد المملوكي (باستثناء مدينة الكرك)، حيث نلاحظ وجود تجمعات سكنية شرق هذا الطريق، وقد صاحب انشاء طريق الحج العثماني انزياحا للسكان نحو الشرق وكذلك جنوب الكرك، بل انها تكونت كذلك نقاط استقرار جديدة، أنشئت حول



١١. العلاقــة بيــن درب الحــج الشــامي ونقــاط المياه خــلال الفترة العثمانيّــة، ، التــدرج في الألــوان يجسّد المسافــة الفاصلة (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

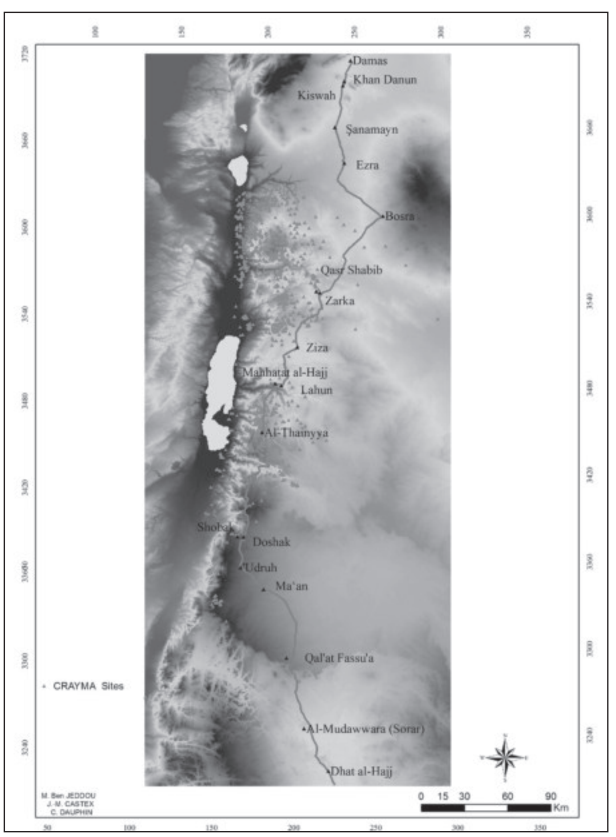
طريق القوافل، والأكيد أنها كانت في ارتباط وثيق بطريق الحج، إذ أنها كانت توفر الاحتياجات اللازمة للقافلة وخاصة الغذائية منها.

خلال الفترة الإسلامية، نلاحظ أن طريق القافلة كان يتجنب المرور بالتجمعات السكنية مباشرة، وهو امر منطقي بالنظر للعدد الهائل المكوّن للقافلة، وقد أمكن قياس المسافة الفاصلة من١٥ إلى ٣٠ دقيقة سيراً على الأقدام، ولذلك فإن القلاع والخانات تتواجد عادة خارج هذه التجمعات، مثلما هو الشأن بالنسبة للكرك والثنية.

أمّا في الفترة العثمانية، فإن أغلب المواقع الأثرية أنشئت غالباً على حافة الطريق أو على مسافة قريبة جدا منه وذلك بهدف توفير كل مستلزمات القافلة أثناء ذهابها إلى الأماكن المقدسة أو عند العودة منها.

النماذج الديناميكية التنبؤية لمحاكاة ونمذجة الطريق: هل أن مسار القافلة كان فعلا هو المسار المثالي؟

أثبتت نتائج عمليات التحاليل المكانية والاحصائية



١٢. درب الحــج الشــامي وتــوزّع المواقــع الاثريّــة خــلال الفترة الصليبيــة، الايوبيــة والمملوكيّة (© كلوديــن دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

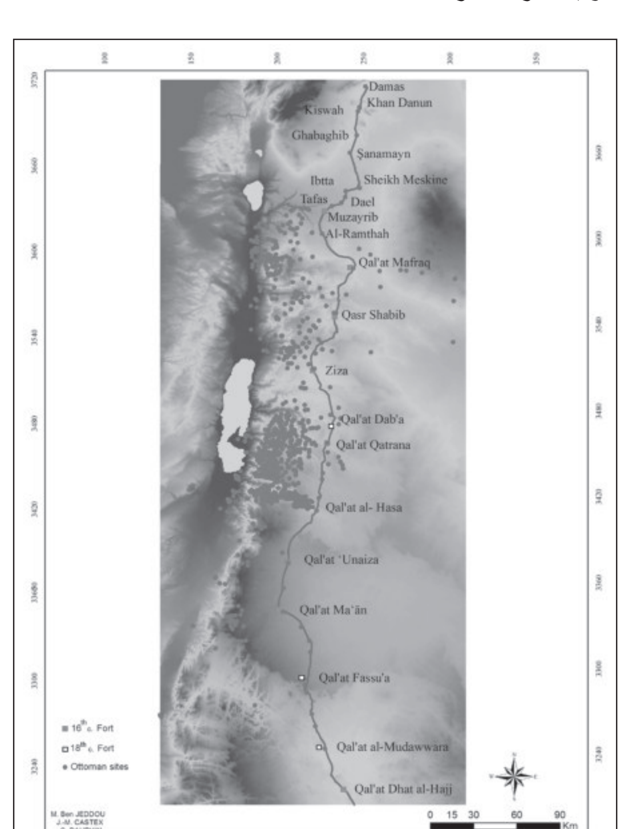
وجود اختلافات هامة في استراتيجية إنشاء طريق قافلة الحج الشامي خلال الفترتين الإسلاميّة والعثمانيّة، وعلى ضوء ذلك، وبعد اختبارالعديد من النماذج الجغرافية التنبؤية، كان من الضروري الاعتماد على نموذجين مختلفين لإيجاد المسار الافضل بالنسبة لكل فترة تاريخية، مع مقارنة كل منهما بالطريق الفعلي للقافلة.

الفترة الإسلامية

استخدام التطابق الموزون

في اطار بحثنا عن الملائمة المكانية لإنشاء طريق نظري أقصر وأسهل للقافلة عبر منهجية تحليلية مكانية استنادا إلى مجموعة العناصر الطبيعية ، كالتضاريس وطبيعة السطح والانحدارات، يمكن القول أن العوامل المفسرة لإختيار طريق القافلة بالنسبة لهذه الفترة هي كالاتي:

- ضعف قيمة الميل (لا تتجاوز ٦ درجات).
- وجود مسافة فاصلة بين طريق القافلة والتجمعات



١٣. التجمعات السكنية والقـلاع العثمانية (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

السكنية (تتراوح بين ١٥ إلى ٣٠ دقيقة سيرا على الأقدام).
- طبيعة التربة التي تسير عليها القافلة: رمليّة أو حصباء صغيرة.

الفترة العثمانية

استخدام المنطق الضبابي

تتيح لنا هذه التقنية إمكانية الربط بين جميع العوامل والمتغيرات المؤثرة في انشاء الطريق، وإعطاء أحدها وزناً، ونسبة أكبر من باقي المعايير تبعاً لأهميتها، كما أنّه من الممكن استعمال هذه التقنية في حالة امتلاكنا لمعطيات أو قيم تقريبية، دون التأكد منها بصفة قطعية، وذلك بتقدير وزن لكل عنصر يشارك في عملية النمذجة التنبؤية، مع تحديد درجة الافضلية، ومن بين المعطيات التي تدخل في عملية اختيار طريق القافلة بالنسبة لهذه الفترة، يمكن أن نذكر:

- ضعف قيمة الميل (لا تتجاوز ٦ درجات في خارطة الميل).
- وجود مسافة فاصلة بين طريق القافلة والقلاع تقل عن ١٥ دقيقة سيرا على الأقدام.
- طبيعة التربة التي تسير عليها القافلة: رمليّة أو حصباء صغيرة.
- تحديد مدى الرؤية.

النتيجة

في اطار بحثنا عن المسار الأفضل لقافلة الحج الشامي، نلاحظ أن كل من التقنيات المتبعة لتحقيق هذا الهدف، قد أعطت نتائج لا تتطابق تماما مع الطريق الفعلي، إلا أنه يمكن القول أن استخدام المنطق الضبابي، كان في أغلبه مطابق لطريق القافلة العثمانية، ولعل ما يؤكد نجاح هذا النموذج هو أن المهندس بالجيش العثماني "مختار باي" وقع تكليفه من طرف السلطان عبدالحميد بتتبع قافلة الحج من دمشق إلى الحجاز سنة ١٩٠٠، وتسجيل ملاحظاته لاختيار أنسب الأماكن بهدف إنشاء سكة القطار الحجازي (Nicholson 2012: 15).

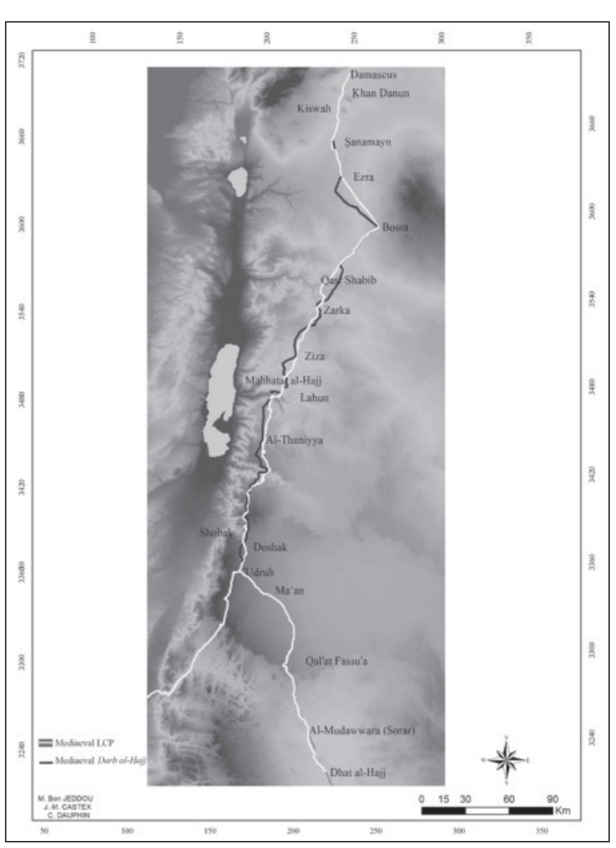
تحليل خرائط أنسب مسار للطريق (الشكل ١٤)

من بصرى إلى الزرقاء، نستطيع أن نلاحظ تطابقا جليّا بين الطريق الأفضل "النظري" والطريق الفعلي للقافلة، وهو نفسه طريق تراجان الروماني، الذي يمر على مدينة بصرى الأثرية بسوريا وصولاً إلى العقبة على ساحل البحر الأحمر (Roll 1999: 109).

وقد أمر الإمبراطور تراجان بإعادة توسعته ورصفه بالحجارة على الجانبين (a finibus Syriae usque ad Mare Rubrum).

من الزرقاء إلى زيزيا (الجيزة)، يمر الطريق إلى الشرق من العاصمة عمان، ليس ببعيد عن قصر الموقر الذي يحتوي على بركتين لتجميع مياه الأمطار(إضافة إلى ٩٠ خزان مياه صغير وحمامات مبلطة بالفسيفساء) وهو ما يمكن أن يفسر مرور الطريق بهذه المنطقة وتجنّبه فيلادلفيا - عمّان (Creswell 1932: 496-497).

من الجيزة إلى الكرك، تتضارب المصادر التاريخية في تحديد مسار درب الحج الشامي، فمنها من تخبرنا أنه كان يمر عبر اللجون، في حين تشير مصادر أخرى إلى قرية اللاهون / الياهون.



١٤. درب الحج الشامي خلال الفترة الإسلامية وتحديد المسار الأفضل. (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

وبالعودة إلى الطريق الأمثل، وباعتبار معيار المسافة بين المناطق الواقعة من ١٥ إلى ٣٠ دقيقة من الطريق، نلاحظ أن درب الحاج كان يتجنب المدن أو القرى الكبيرة، ولذلك، فمن الطبيعي أن يميل المسار نسبيا إلى الشرق.

اذا ما استحضرنا الصعوبات التي تواجهها قافلة مكوّنة من آلاف من الإبل والحجيج كان عليها أن تعبر وادي الموجب، يبدو لنا أن نزول القافلة بمحطة الحاج أمر غير مستبعد، كما كان عليها أن تعود ادراجها بعد قضائها ليلة أو ليلتين، لمسافة ٢,٥ كم إلى قرية اللاهون، لتواصل طريقها عبر وادي الموجب وهذا الافتراض يتطابق مع الطريق الأمثل الذي تم تحديده عن طريق قياس العلاقات المكانية لتحديد المسار الأقل تكلفة.

يواصل درب الحج الشامي مساره نحو الجنوب بالتوازي مع المسار الأمثل، فيعبران معاً منطقة ما بين الثنية والكرك، ثم يلتقيان تقريباً في أذرح ليتخذ كل منهما مسارا مختلفا بعد ذلك.

علينا أن لا ننسى أن درب الحج كان في الفترة الإسلامية الأولى يواصل طريقه إلى غاية العقبة، وهو ما يؤكّده لنا مخطوط يرجع إلى العهد الأموي، يذكر أن الخليفة كان قد أصدر أمراً إلى الراغبين في الحج من مصر بلقائه عند مدينة العقبة، وهناك يلتحم درب الحاج الشامي بدرب الحاج المصري ثم تواصل القافلة مسيرها على ساحل البحر الأحمر (Kennedy 2012: 92).

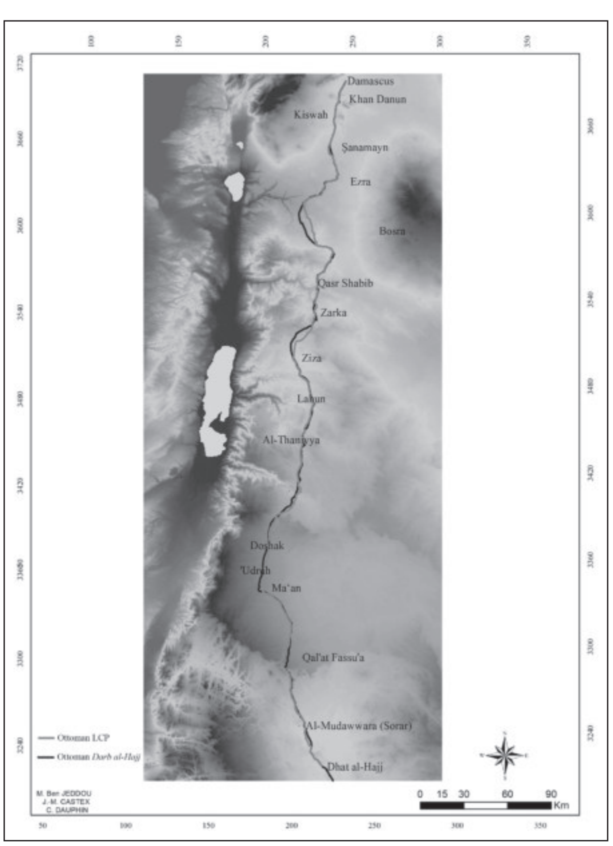
نعتقد أن طريق هذا الخليفة للذهاب إلى الحج، كان من دمشق إلى العقبة، ثم يسلك الطريق الساحلي الذي يسير بمحاذاة ساحل البحر الأحمر مروراً بمدينتي الوجه وينبع، متجنباً بذلك الطريق الداخلي الذي يمر من دمشق إلى معان وتبوك والمدينة المنورة فمكة المكرمة.

مع بداية القرن الثاني عشر، احتل الصليبيون القدس بالإضافة إلى مناطق واسعة من سوريا الشمالية والساحلية، وكذلك أراضي شرق نهر الأردن: الكرك، قلعة مونتريال/الشوبك، البترا والقلاع المحصنة الأخرى. ففي سنة ١١١٦، كانت مقاطعة مونتريال تمتد حتى خليج العقبة بما فيها القلعة.

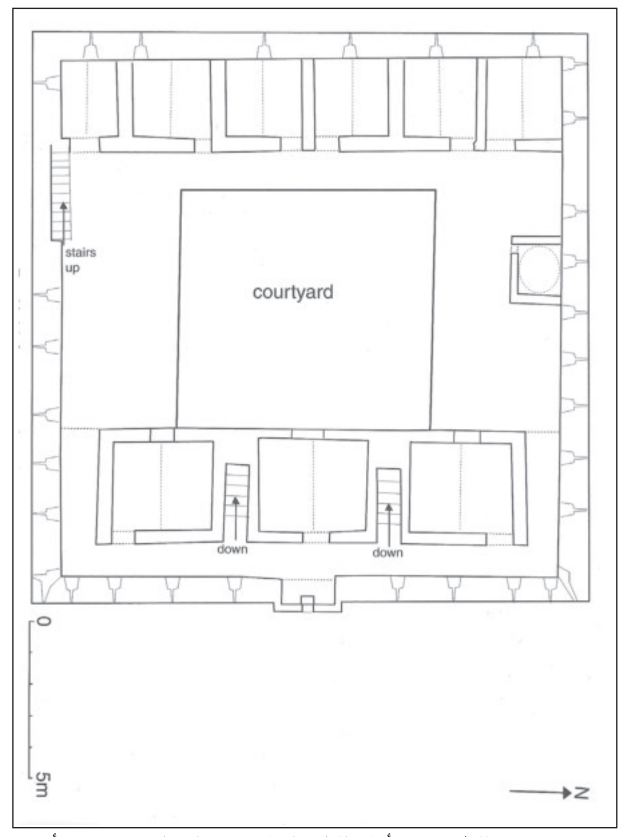
وإلى غاية ١١٨٧، تاريخ انتصار صلاح الدين في معركة حطين على الصليبيين، كان الصليبيون المتواجدون بأراضي فلسطين والأردن يهددون أمن الطرق البرية بين سوريا ومصر، ويهاجمون قوافل التجارة والحجيج، وهو ما أجبر القوافل على تغيير مسارها شرقا والتوغل في الصحراء، وبصفة موازية، شهد درب الحج المصري فترة حرجة بسبب تواجد الصليبيين في الشام ممّا أجبر الحجاج الذين كانوا يمرون سابقاً عبر سيناء والعقبة على البحث عن طرق جديدة (Peters 1994: 90).

درب الحج العثماني والطريق الأفضل (الشكل ١٥)

اظهر استعمال التحليل المكاني أن تحديد المسار الأمثل بالنسبة لقافلة الحج في العهد الوسيط يكاد يتطابق مع الطريق القديم على الأقل حتى الكرك، على العكس من ذلك، نلاحظ أن درب الحج العثماني، لا يتبع المسار الأمثل في بعض الاحيان، بقدر ما هو مرتبط عضويا بالقلاع التي أنشأتها الإدارة العثمانية لتسهيل سفر الحجيج إلى الديار المقدسة، بالإضافة



١٥. درب الحج العثماني وتحديد المسار الأفضل (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).



١٦. صـورة للطابـق الأول للقلعـة العثمانيـة، المـدوّرة، الأردن (©٢٠١٢، صورة ٣٩ بيترسون).

إلى ربط البلاد الإسلامية مع بعضها بطريق حيوي، واحكام السيطرة العسكرية على الولايات التي يمر بها القطار (الشام والحجاز).

على أثر الاحتلال العثماني لسوريا، أمر سليم الأول بإنشاء قلاع بكل من الصنمين، مزيريب والمفرق، ومنذ ١٥٧٠ امتدت حركة إنشاء القلاع إلى منطقة الحجاز، مرورا بقطرانة، عنيزة، معان، ذات الحاج، تبوك، الأخيضر، العلا وهدية (Petersen 2012: 20).

وقد شهد القرن ١٨ مرحلة جديدة في انشاء الحصون والقلاع، حيث أنشأت قلعة ضبعة، الحسا، فصوعة، مدوّرة (**الشكل ١٦**) ومدائن صالح.

من جهة أخرى، وفي اطار الصراع بين البرتغاليين والعثمانيين من أجل التفوق في الخليج الفارسي والبحر الأحمر، كانت القلاع التي شيدت على طريق الحج جزءا من نظام الدفاع على ساحل البحر الأحمر في شبه الجزيرة العربية، كما أنها لعبت دور وسيلة اتصال بين الحجاز وسوريا وشمال الأناضول والقسطنطينية، وقد سمح خط حديد الحجاز - الشام بدوره، بتسهيل تنقل الجنود العثمانيين، والمعدات بسرعة كبيرة من ساحل البحر الأحمر إلى مكة والمدينة المنورة ، بل حتى إلى اليمن الذي احتله العثمانيون في ١٥٣٨ وبصفة نهائية سنة ١٥٤٩ (Hess 1974: 27-29).

كما مثلت هذه الحصون وجوداً عسكرياً على الجانب الغربي من البحر الأحمر - خط الدفاع الاخير ضد أي غزو محتمل من قبل القوى الغربية: ففي سنة ١٨٨٢ كانت سفن البحرية الملكية البريطانية تتواجد بشرق البحر الأبيض المتوسط كما كان لها قواعد في مصر.

القلاع والحصون

يمكن القول أن تركيز الحكم العثماني على مواطنيهم العرب "الأجانب"، كان مرتبطا بإخضاع القبائل ووضع حد لتعديات البدو، التي كانت تستهدف طرق التجارة وقوافل الحج، وذلك بتشجيعهم على الإستقرار؛ وأمام تأزّم الوضع خاصة خلال القرن ١٨، عمدت السلطة العثمانية إلى استراتيجية إعادة بناء أسوار مدينة القدس العتيقة علاوة على بناء شبكة

من الحصون الحديثة في فلسطين (**الشكل ١٧**) مثل راس العين، بيت جبرين، خان التجار، قلعة براك وجنين (Petersen 2012: 25-26 and 38-50).

مع نهاية القرن ١٧، أدى الجفاف إلى تدفق جديد للقبائل العربية وخاصة منها "شمّر وعنزة"، وهو ما صنع واقعا هشّا على حواف الصحراء العربية؛ وبالإضافة إلى ذلك، فإن اقتناء الأسلحة النارية التي أصبح بالإمكان امتلاكها خلال القرن ١٨، ساهم جزئيا في فاعلية هجمات البدو.

وتماشيا مع المعدات الدفاعية، يمكن القول أن هناك تطور تاريخي من الناحية المعمارية، حيث نرى أن القلاع التي يعود تاريخها إلى القرن ١٦ والتي أنشئت على طريق قوافل الحج بالأردن (مدوّرة، فصّوعة، ضبعة والحسا) كانت تتلاءم مع استعمال المدافع صغيرة الحجم؛ وعكس ذلك، فإن قلاع القرن ١٨، كان بها أربعة أبراج تحتل الزوايا الأربع، وهو ما يسمح للحامية العسكرية المتواجدة بها من الدفاع بشكل أفضل وصد هجمات البدو المجهزين ببنادق.

كما أتاحت الأسلحة النارية التي كانت بحوزة

١٧. الحصون والقلاع العثمانيّة على طريق قافلة الحج الشـامي (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

القبائل البدوية بمنطقة نجد، والتي كانت الأكثر اضطرابا وطموحا وتعطش للدماء تحت زعامة رجل دين، محمد بن عبدالوهاب (١٧٠٣ – ١٧٩٢) وبقيادة البيت السعودي، من أن تشكل قوة سياسية هامة بوسط الجزيرة خلال القرن ١٨، وتستحوذ على مكّة سنة ١٩٢٥ (Petersen 2012: 18-19 and 27).

من المرجح أن طريق الحج تم تصميمه على يد المهندس العبقري المعماري سنان باشا (١٤٨٩ – ١٥٨٨) والذي قام أيضا بإنشاء الجسور والقلاع والحصون الحربية، وهو من حدد المسافة الفاصلة بين مراحل الطريق (المرحلة تعادل تقريبا مسافة ٥٠ كم)، كما أن المشروع الأصلي كان يتضمّن كذلك إنشاء الطرقات المتقاطعة مع الطريق الرئيسي بالإضافة إلى مد الجسور على الأودية التي كانت تشكل خطرا على القوافل خاصة في أوقات الفيضانات، إلى جانب تصميم القلاع والبرك.

خيام الحجاج

كانت المخيمات البدوية موزعة وفقا لنظام عشيرة هرمية، ويطلق على مضرب الخيام اسم الحي وأعضاء الحي الذين يرتبطون بأواصر النسب، يطلق عليهم اسم القوم (Hitti 1949: 26).

لم تكن مخيمات الحج أقل تنظيما، حيث أنها كانت تتألف من مختلف المجموعات التي تضم الحجاج حسب جنسياتهم، وهكذا فان المؤرخ دواتي انضم إلى مجموعة يقودها فارسي مقابل بعض جنيهات استرلينية، (وهو المشرف على أمور حجاج بلاده، يأتي كل عام من الشرق، عن طريق بغداد، حلب ودمشق، حيث يضم قافلته لقافلة الحج العثماني) (Doughty 1931: 35-36).

وبالاعتماد على داوتي أمكن لنا إعادة تركيب مشهد خيام الحجاج على طريق الحج الشامي نحو الأماكن المقدسة (Doughty 1931: 41-42).

في كل منزل من منازل الحج وحال توقف القافلة تنصب الخيام على شكل مدينة صغيرة ذات أزقة متعددة، ويكون الموقع عبارة عن أرض مسطحة وربما يكون منحدر يحده وادي مثلما هو الشأن بالمفرق، وتكون خيام الحجاج على شكل دائرة على مقربة من القلعة، في وسط هذه الدائرة تنصب خيام أمير الحج وإلى جانبها خيام المؤونة والهدايا والصرة

الهمايونية، بالإضافة إلى وجود حظيرة ضخمة حيث يتم تجميع الآلاف من الجمال المكونة لقافلة الحج.

غير بعيد عن المركز، تتشكل حلقة أخرى من الخيام، وهي خاصة بالتجار، كما نجد صفا من الخيام بمعدل كل ٦٠ خطوة وهي خاصة بالمشرفين على مهمة تأمين سلامة القافلة: فرسان على ظهور الجمال أومشاة؛ كما كانت الأزقة تضاء بالمشاعل بداية من منتصف الليل، أمّا داخل الخيام فتستعمل الشموع، ويحمل الحارس، الذي تدوم مهمته حتى الفجر، عادة حلقة تميزه عن الاخرين.

كان لكل مجموعة من المضارب مواقد لطهي الطعام على الطريقة البدوية، وهي عبارة عن حفر صغيرة تحتوي على أغصان من شجيرات الصحراء التقطت أثناء المشي، يوضع فوقها القدر أو المقلاة.

بعض هذه العناصر التي تشير إلى مضارب خيام الحجاج بالإمكان رصدها باستعمال الصور الجوية او جوجل ايرث (**الشكل ١٨**)، وقد مكّننا المسح الميداني من التعرف بدقة على مواقع الخيام قرب القلاع العثمانية، وكذلك الحظائر التي كانت معدة للإبل وحتى مواقد الطهي التي كانت خاصة بالحجاج.

الخط الحديدي الحجازي: الحج عن طريق القطار

(١٩٠٠ - ١٩٠٨) أنشأ الخط الحديدي الذي يربط دمشق بالمدينة المنورة.

وهو ما نتج عنه تلاشي استعمال درب الحج القديم مع ما رافق ذلك من تحقيق مكاسب على مستوى التكلفة واختصار وقت الرحلة (**الشكل ١٩**)، فقبل ذلك كان يستلزم قطع مسافة ١٣٠٣ كم (المسافة الفاصلة



١٨. استراحة القافلة في محطة على طريق الحج بالأردن، بداية القرن ٢٠.

بين دمشق والمدينة، منها ٤٥٢ داخل تراب الأردن) حوالي شهرين؛ وباستعمال السكة الحديدية، أصبحت الرحلة لا تتجاوز ٥٥ ساعة (**الشكل ٢٠**).

مع نهاية القرن ١٩، فقدت الإمبراطورية العثمانية مقاطعاتها الأوروبية (اليونان، رومانيا، بلغاريا، صربيا والجبل الأسود) فأصبح تركيز السلطان عبد الحميد الثاني على المقاطعات العربية الخاضعة للسلطة العثمانيّة.

وفي ٢ أيار سنة ١٩٠٠ وجه عبد الحميد نداءً إلى العالم الإسلامي يحث فيه المسلمين على جمع التبرعات الماليّة لإنشاء خط حديدي يربط الأناضول بالجزيرة العربيّة ويمكّن في نفس الوقت من دعم حركة الجامعة الإسلامية وتوحيد صفوف العالم الإسلامي (**الشكل ٢١**).

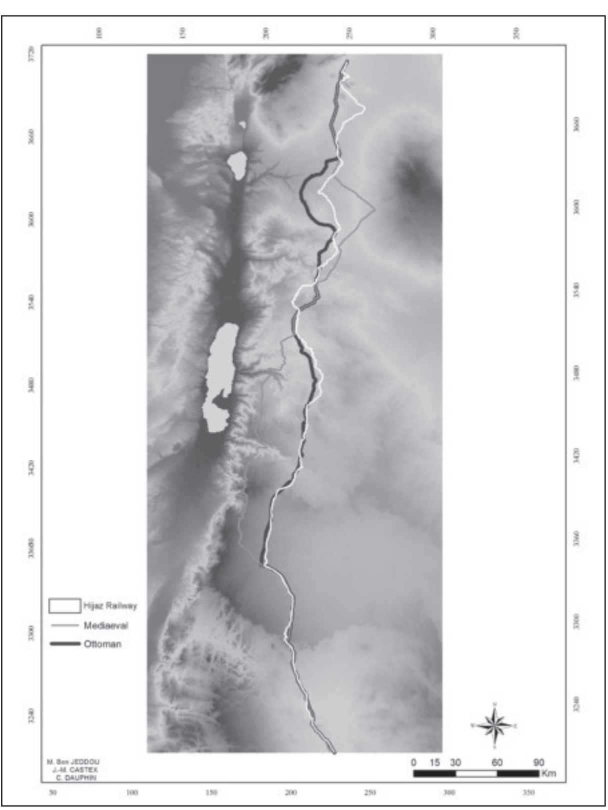
اعتبر الخط الحديدي من زاوية الشرع بمثابة وقف إسلامي، وقد سمح للسلطان العثماني على المستوى الداخلي من زيادة بسط نفوذه السياسي، لا سيّما في المناطق الجبليّة والصحراويّة والوصول إلى القبائل التي تسكنها، وخارجيّا من التعامل بفعاليّة ضد الاطماع والسياسات العدوانيّة لكل من بريطانيا وفرنسا، لا سيما، في المناطق العربية التي كانت تابعة للسلطة العثمانية وأصبحت محتلّة من طرف القوى الغربيّة: مصر، السودان، عدن، إضافة إلى إمكانية عقد تحالفات مع المقاطعات التي تقع على الخليج الفارسي مثل الكويت.

بتاريخ ١ أيلول ١٩٠٦، كان مد الخط الحجازي قد تجاوز المدوّرة، اخر محطة على طريق قافلة الحج بالتراب الأردني قبل أن تدخل مدينة تبوك في الجزيرة العربيّة (**الشكل ٢٢**) (Nicholson 2012: 40).

تم تسيير أوّ رحلة لقطار الحج من دمشق إلى المدينة المنورة يوم ٢٢ آب ١٩٠٨، حيث كانت العربات من الدرجة الثالثة (**الشكل ٢٣ و٢٤**)، وقد أضيفت له سنة ١٩١٣ عربات من الدرجة الأولى والثانية، كما تم تخصيص عربة كمسجد أقيمت فوقه مئذنة؛ كان سير القطار يستغرق عمليّا يومين ونصف، إلا أن الرحلة فعليا كانت تدوم ٥ أيام (**الشكل ٢٥**)، يخصص فيها الوقت الباقي لوقوف القطار في المحطات وتغيير القاطرات وكذلك لضمان سير القطار بأمان أمام هجمات البدو الذين عارضوا المشروع في



١٩. خريطة رسمها المهندس بالجيش العثماني مختار باي سنة ١٩٠٠ انطلاقا من ملاحظاته الميدانية اثر تتبعه لقافلة الحج، بهدف مد سكّة القطار الحجازي (توكابي، ساراي، إسطنبول).



٢٠. درب الحج الشامي خلال الفترتين الإسلامية والعثمانية، إلى جانب خط سكّة حديد الحجاز (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).

البداية، باعتبار حرمانهم من كراء جمالهم أو تأمينهم لسلامة الحجاج مقابل المال.

خلال الحرب العالمية الأولى، واجه لورانس العرب سنة ١٩١٧ بمناطق الحجاز صعوبة في القيام بمشروعه بتحريض القبائل العربية الثائرة، وتدريب رجالها على كيفية استعمال الأسلحة الخفيفة، وتفجير الخط الحديدي باعتبار أنّه لعب دوراً هامًا في ثبات العثمانيين في الحرب، خاصة وأنهم كانوا حلفاء الألمان (Nicholson 2012: 44, 58, 94-151).

الجدير بالذكر أنّه تم تسيير آخر رحلة للقطار الحجازي لنقل الحجيج من دمشق إلى المدينة في سنة ١٩١٨.

شكر وتقدير

تندرج هذه الدراسة ضمن مشروع السكان المستقرين والبدو جنوب بلاد الشام: مجالات التعبير الفني المرتبطة بديناميات السكان، تحت اشراف مجلس الأبحاث البريطانية في بلاد الشّام وبتمويل من منظمة (Augustus Foundation Monaco-London).

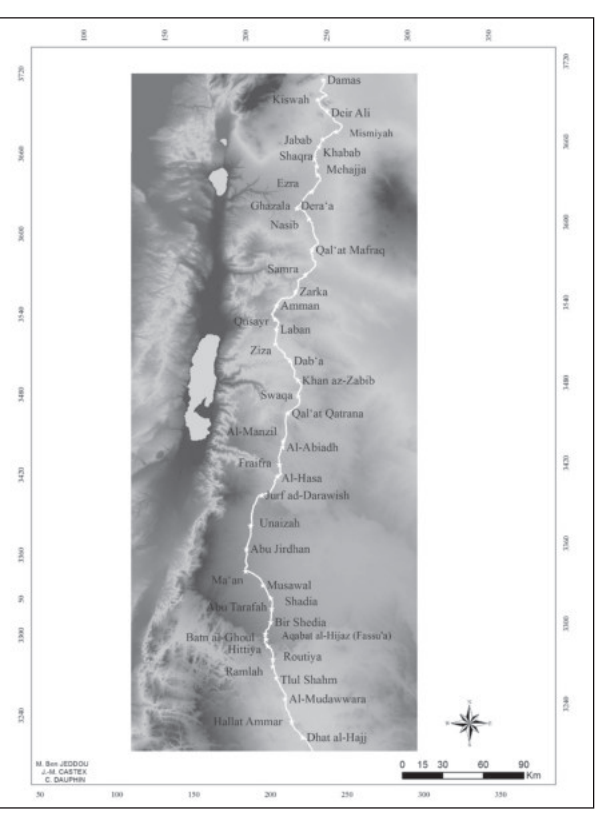
ونحن جداً ممتنون للدعم المادي والمعنوي الذي تقدمه هاتين المنظمتين، منذ كانون الثاني ٢٠١٤، فضلا عن اهتمامهما الصادق بعملنا؛ ونذكر بالخصوص د. بيل فينلايسون، مدير مجلس الأبحاث البريطانية في بلاد الشام، لندن، لدعمه لهذا المشروع لدى دائرة الآثار العامة الأردنية، وهو ما سمح لنا بالإطلاع على قاعدة بيانات المواقع الأثرية الأردنية JADIS. وكذلك برنامج توثيق وإدارة التراث الوطني الأردني MEGA.

وما لمسناه نحن، الأستاذة كلودين دوفان، أستاذة فخرية في علم الآثار واللاهوت بجامعة ويلز، ترينيتي، سانت دافيد، من تعاون مثمر منذ سنة ٢٠١١.

كما نتقدم بشكر خاص إلى مدير عام دائرة الآثار العامة د. منذر الجمحاوي لمساعدته لنا في الحصول على مختلف الخرائط من المركز الجغرافي الملكي



٢١- محطة قطار الحجاز بالمفرق: على سكّة الحديد كتابة (السلطان الغازي عبدالحميد)، وكذلك اسم الشركة البريطانية كوكريل (© كلودين دوفان٢٠١٤).



٢٢. خط سـكة حديد الحجاز ومحطاته (© كلودين دوفان، محمد بن جدو، جان ماري كاستاكس).



٢٣. محطة قطار الحجاز بالمفرق (© كلودين دوفان٢٠١٤).

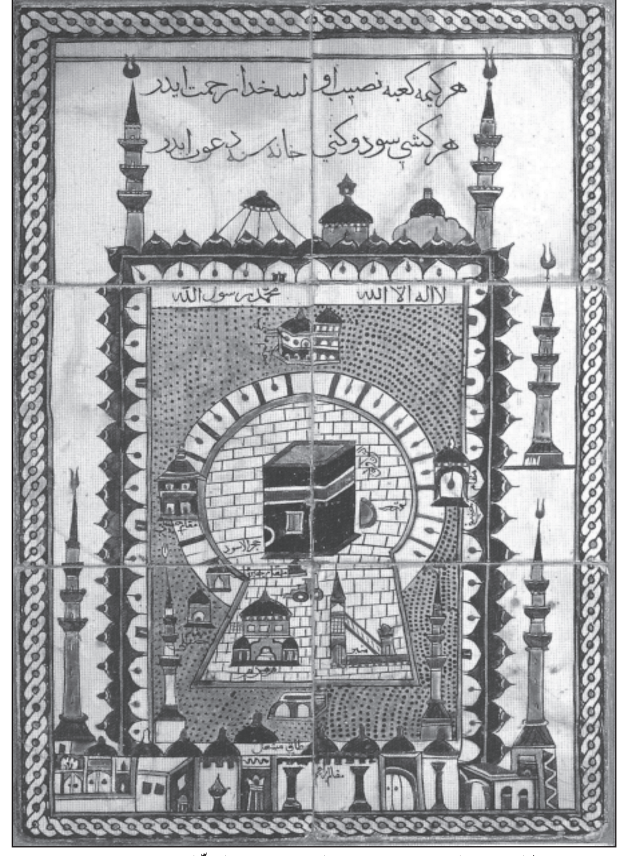
الأردني، دائرة الأراضي والمساحة، وزارة الطاقة والثروة المعدنية ومن وزارة المياه والري.

كل هذه الخرائط تمّ تحويلها، من طرفنا، إلى خرائط رقمية، كما تم تجميعها وضبط الإحداثيات وتحويلها إلى بيانات رقمية.

نتقدم بالشكر كذلك إلى مساعد مدير عام دائرة الآثار العامة جهاد هارون لمساعدته القيّمة خصوصا في ما يتعلق بالإجراءات الاداريّة، وكذلك قتيبة



٢٤. قاطـرة بخارية من قاطرات الخـط الحديدي الحجازي تقف إلى جانب محطة المفرق (© كلودين دوفان٢٠١٤).



٢٥. بلاطة خزفيّة من انتاج ازنيك (تركيا) لمكّة (٧٣×٤٩،٥ سنتم) تعـود إلى القـرن ١٧، وقع اقتناءها من مصـر، متحف بيناكي (أثينا، اليونان).

الدسوقي (مساح طوبوغرافى بنفس الدائرة) لمصاحبتنا إلى مختلف المؤسسات في إطار سعينا للحصول على الخرائط، دون أن ننسى نادية القيسي، سكرتيرة بالمجلس الثقافي البريطاني بعمّان لمساعداتها الثمينة.

وفي النهاية، لا يمكن أن ننسى مساندة فتوح البنّا،

مسؤول سابق عن قسم الإعلام بدائرة الآثار العامة، توفّي سنة ٢٠٠٩، خاصة وأنه كان قد تنقّل مع بعض أعضاء المشروع إلى سوريا سنة ٢٠٠٨، رجوعا بنفس طريق قافلة الحج الشامي في العهد العثماني.

بعد انقطاع دام حوالي ٦٠ عاماً، قام هذا البحث بإحياء كتابات الصحفية ران دوفان التي كانت تهتم بصفة خاصة بهذا الموضوع، لا سيّما في جانبه الأردني.

من خلال تناول مسألة درب الحج الشامي بالإعتماد على منهج علمي وتقنيات بحث جديدة، نأمل أن يكون هذا العمل تكريماً لكل من ورد ذكرهم في هذه الصفحات.

Claudine Dauphin,
Mohamed Ben Jeddou
Jean-Marie Castex
Darb al-Hajj Part 2

المراجع

الجاسر، حمد
١٩٦٩ **في شمال غرب الجزيرة**. الرياض: دار اليمامة.
الحصان، عبدالقادر
٢٠٠٧ قلعة القطرانة العثمانية التركية، **حولية دائرة الآثار العامة** ٥١: ١٣-٢٠.
السلامين، زياد
٢٠١٠ الشواهد الأثرية المكتشفة بالقرب من طريق الحج الشامي في منطقة عقبة الحجاز وجوارها - جنوب الأردن. **المجلة الأردنية للتاريخ والآثار**، المجلد ٤، العدد ٢: ١٧١-١٠٢.

Bibliography

Akin, N., Batur, A. and Batur, S. (eds.)
1999 7 *Centuries of Ottoman Architecture 'A Supra National Heritage', International Congress at Istanbul Teknik University*. Taşkişla Campus on 25.26/27 November 1999, Istanbul Chamber of Architects Metropolitan Istanbul Branch, Yem Yayin, Istanbul.

Ansary, A. R. al- 'Abdalla, A.M., Mortel, R.T. and al-Sakkar, S. (eds.)
1979 *Studies in the History of Arabia Vol. 1: Sources for the History of Arabia, Proceedings of the First International Symposium on Studies of the History of Arabia*, 23-28 April 1977, Sponsored by the Department of History, Faculty of Arts, University of Riyad, Saudi Arabia, Part 2, Riyad University, Riyadh.

Bakhit, M.A.
1982 *The Ottoman Province of Damascus in the Sixteenth Century*, Librairie du Liban, Beirut.

Barbir, K. K.
1980 *Ottoman Rule in Damascus* 1708-1758, Princeton University Press, Princeton.

Bell, G. L.
1908 *Syria, the Desert and the Sown*, William Heinemann, London.

Bianchi, Th.-X.
1818-1825 *Itinéraire de Constantinople à la Mecque. Traduit et extrait de l›ouvrage turc intitulé "Kitab Menassik el hadj" (Livre des cérémonies relatives au pèlerinage), par El Hadj Mohammed Adib ben Mohammed, derviche, re-publ. 1825 in Recueil de voyages et de mémoires, Société de Géographie*, Vol. II, Paris.

Bilge, M.
1979 Arabia in the work of Awliya Chalaby (The XVIIth century Turkish Muslim Traveller), Pp. 213-227 in A. Ansary, Mortel and al-Sakkar, (eds.).

Bisheh, G.
2000 Two Umayyad Mosaic Floors from Qastal, *Liber Annuus 50*: 431-438.
2005 Two Umayyad Mosaic Floors from Qastal, *in Morlier* (2005 dir.): 471-476.

Brünnow, R. E. et Domaszewski, A. von.
1905 *Die Provincia Arabia*, Karl J. Tubner, Strassburg.

Burckhardt, J.L.
1822 *Travels in Syria and the Holy Land*, John Murray, London; reprint 1983 AMS Press, New York.

Burton, R. F.
1893 *A Personal Narrative of a Pilgrimage to al-Madina and Meccah*, Reprint of third, memorial edition, Dover Press, New York 1964.

Çelebi, E. Seyhatnâme, Hammer, R. J. von (eds.)
1846 *Narrative of travels in Europe, Asia, and Africa, in the seventeenth century*, by Evliyá Efendí, Oriental Translation Fund of Great Britain and Ireland, London.

Creswell, K. A. C.
1958 *A Short Account of Early Muslim Architecture*, Penguin Books, Harmondsworth.
1932 *Early Muslim Architecture. Part One*: The Umayyads, Clarendon Press, Oxford. Repr. 1969.

Doughty, C. M.
1888 Travels in Arabia Deserta, Vol. 1 (2 Vols), Clarendon Press, Cambridge, 1888, reprint by Dover Books 1979.
1931 *Passages from Arabia Deserta selected by Edward Garnett*, Jonathan Cape, London 1931.

ESRI
(no date.) "*Creating the Least Cost Path*", ArcGIS Resources (http://resources.arcgis.com/en/help/main/10.1/index.html#//009z00000021000000(S1), 3 April 2014).

M. 1825.

Merrill, S.

1883 *East of the Jordan: a Report of Travel and Observation in Countries of Moab*, Gilead and Bashan. Darf, London (reprint 1986).

Nicholson, J.

2012 *The Hejaz Railway, 2nd ed.*, Stacey International, London - al Turath, Riyadh.

Peters, F. E.

1994 The Hajj. The Muslim Pilgrimage to Mecca and the Holy Places, Princeton University Press, Princeton.

Petersen, A.

2012 *The Medieval and Ottoman Hajj Route in Jordan. An Archaeological and Historical Study, Levant Supplementary Studies* 12, Oxbow Books, Oxford and Oaksville.

Piccirillo, M. and Alliata, E.

1999 eds *The Madaba Map Centenary 1897-1997. Travelling, Through the Byzantine Umayyad Period. Proceedings of the International Conference Held in Amman, 7-9 April 1997*, Studium Biblicum Franciscanum Collectio Maior 40, Jerusalem.

Porter, V.

2012 *Hajj journey to the heart of Islam*, The Trustees of the British Museum, The British Museum, London.

Report Presented to His Highness Muhammad Ali Pasha, Viceroy of Egypt, by an anonymous officer of the Egyptian Vice-Royal Engineers, Pp. 214-222 in Petersen (ed.), transl. M. V. Diboll.

Roll, I.

1999 *The Roads in Roman-Byzantine Palaestina and Arabia*, Pp. 108-113 in Piccirillo and Alliata (eds.).

Sauvaget, J.

1935-1945 Un relais de Barîd mamelouk, in *Mélanges Gaudefroy-Demombynes, Institut français d'archéologie orientale, Le Caire: 41-48.*

Schumacher, G.

1886 *Across the Jordan being an exploration and survey of part part of the Hauran and Jaulan*, Richard Bentley and Sons, London.

Tobler, W.

1993 Three presentations on geographical analysis and modeling, *Technical Report 93-1, National Center for Geographic Information and Analysis*, University of California, Santa Barbara.

Varthema, L. di.

1863 *The Travels of Ludovico di Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta and Arabia Felix, in Persia, India and Ethiopia*, A.D. 1503 to 1508, in Jones et Badger.

Findlater, G.

2002 *Limes Arabicus, via militaris and resources control in southern Jordan*, Pp. 137-149 in Freeman, Bennet, Fiema and Hoffmann (eds.).

Freeman, P., Bennet, J., Fiema, Z. T. and Hoffmann, B.

2002 *Limes XVIII: Proceedings of the XVIIIth International Congress of Roman Frontier Studies held in 'Amman Jordan.* (September 2000), Vol. 1, BAR International Series 1084 (1).

Genequand, D.

2012 *Appendix 2. The Early Islamic Lintel from Qal'at Daba'a*, Pp. 223-226 in Petersen 2012.

Goodwin, G.

1978 The Tekke of Süleyman I Damascus, *Palestine Exploration Quarterly 110: 127-130*.

1987 *A History of Ottoman Architecture*, Thames and Hudson, London.

Haarmann, U.

1979 Murtada b. Ali b. 'Alawan's journey through Arabia in 1121/1709, Pp. 247-251 in A. al-Ansary, Mortel, and al-Sakkar, (eds.).

Hess, A. C.

1974 Piri Reis and the Ottoman Response to the Voyages of Discovery, *Terrae Incognitae 6: 19-37.*

Hitti, P. K.

1949 *History of the Arabs*, Macmillan, 4th ed. revised, London.

Irtenkauf, E.

2014 Analyzing Tobler's Hiking Function and Naismith's Rule Using Crowd-Sourced GPS Data, The Pensylvania State University, Pensylvania.

Jones, J. W. and Badger, G. P.

1863 *The Travels of Ludovico di Varthema in Egypt, Syria, Arabia Deserta and Arabia Felix, in Persia, India and Ethiopia, A.D. 1503 to 1508*, Hakluyt Society, London.

Kennedy, H.

2012 *Journey to Mecca: a History*, Pp. 69-135 in Porter (ed.).

Kiel, M.

2001 The Caravanseray and Civic Centre of Defterdar Murad çelebi in Ma'arrat an-Nu'man and the Külliye of Yemen Fatih Sinan Pasha in Sa'sa, Pp. 103-111in Akin, Batur and Batur (eds.).

MacDonald, B., Rollefson, G. O., Banning, E. B., Byrd, B.F. et D'Annibale, C.

1983 The Wadi El Hasa Archaeological Survey 1982: A Preliminary Report, *ADAJ* 27: 311-323.

MacDonald, B.

1988 *The Wadi el-Hasa Archaeological Survey*, 1979-1983, West-Central Jordan, Wilfrid Laurier University Press, Waterloo, Ont., Canada, Vol. 1.

Mehmed Edib ibn Mehmed Derviş.

1816-17 *Menasik-I hacc-i şerif, Istanbul*, transl. Bianchi,